خواطر إيمانية حول
عظمة الله رب العالمين
الدكتور حسين عامر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته، واستسلم كل شيء لقدرته، وذل كل شيء لعزته، وخضع كل شيء لملكه.

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين الذي أرسله ربه رحمة للعالمين، ليخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

إن إدراك عظمة الله جل جلاله مفتاح لأبواب خير كثيرة، وسبيل إلى زيادة الإيمان واستشعار القرب من الله سبحانه وتعالى؛ فحينما نتأمل في ملكوت السماوات والأرض، وندرك أن الله هو الخالق المدبر، الذي أتقن كل شيء خلقه، فإن ذلك يولد في القلب رهبة وخشوعًا، ويقود إلى طاعة الله ومحبته.

إن الجهل بالله سبحانه وتعالى هو السبب الأساسي في انحراف الإنسان عن الصراط المستقيم، وهو الذي يجعل القلوب تغفل عن ذكره، وتغتر بزينة الدنيا الفانية.

وتأتي هذه الخواطر الإيمانية لتكون زادًا للقلوب، ونورًا للبصائر، فتأخذنا في رحلة تأملية بين آيات الله في الكون، وبين أسمائه الحسنى وصفاته العظيمة، لتكشف لنا عن عظمة الله المطلقة التي لا يحيط بها عقل ولا يدركها بشر.

وهذه الخواطر الثلاثون ألقيت في شهر رمضان عام 1445هـ، وكنت قد استلهمت فكرتها من سلسلة للشيخ محمد صالح المنجد بعنوان (عظمة الله رب العالمين)، فزدت فيها ونقصت وقدمت وأخرت، ثم قمت بشرحها بأسلوبي بعد الرجوع لكتب

العلماء في التفسير والحديث، والآن قمت بتدوينها لعل الله ينفع بها من يقرأها من إخواني الأئمة والدعاة وطلبة العلم، وسائر المسلمين.

وقد كان من أبرز ما دفعني إلى كتابة هذه السطور هو إدراكي لحاجة المؤمن المستمرة إلى استحضار عظمة الله فيدفعه ذلك للإحسان في عباداته وتأديتها على أكمل وجه، ويورثه العلم بعظمة الله الخشية في القلب فتحول تلك الخشية دون معاصيه، ويدرك المؤمن عند وقوع أقدار الله أن لله تدبيرا وتقديرا يليق بجلاله.

ومن تأمل في خلقه عز وجل، واستشعر لطفه وعدله وحكمته، ازداد إيمانه واطمئن قلبه، وسعى إلى مرضاته.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كل من قرأه، وأن يكون سببًا في تقوية الإيمان في القلوب، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله رب العالمين.

وكتبه/ د. حسين عامر

الخاطرة الأولى

عظمة الله رب العالمين

تمهيد:

هذه الخواطر الإيمانية نريد من خلالها أن نتعرف على الله جل في علاه، وإدراك عظمته وجلاله، ومن ناحية أخرى أن نقوّي إيماننا بالله سبحانه وتعالى.

ولا يغيب عنا أن السبب الأساسي للكفر بالله، والغفلة والركون إلى الدنيا هو الجهل بالله سبحانه وتعالى، وعدم معرفته، وعدم إدراك عظمته وجلاله.

ولإيضاح ذلك أقول: **لما مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبر امرأة تبكي عند قبر ابنها، فقال لها: (اتقي الله واصبري). فقالت: (إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي)، وكانت لا تعرفه. فقيل لها: (إنه رسول الله). فذهبت إليه، فلم تجد عنده بوّابين، فقالت: (لم أعرفك يا رسول الله). قال: (إنما الصبر عند الصدمة الأولى) (صحيح البخاري)** فهذه المرأة، لما جهلت أن الذي يكلمها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، تجرأت عليه في الكلام، وقالت له: **(إليك عني)** أي اتركني وشأني، فإن عندي مصيبة لم تصبها، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم له قصد إلا أن ينصح المرأة حتى لا تنطق بما يسخط الله سبحانه وتعالى.

إذاً، فالإنسان إذا جهل شيئاً، لا يعرف قدره، أما إذا عرف قدر من يتكلم معه أو يتكلم عنه، فإنه بذلك يدرك كيف يكون الكلام وكيف يكون الأدب.

وكان علماء السلوك يقولون: (إذا عرف الآمر، سهلت الأوامر).

ما المقصود بعظمة الله؟

العِظَمُ: الكِبَر، وعَظَّمَ الأمر: كبَّره، والتعظيم: التبجيل.

والعظيم صفة مشبهة باسم الفاعل لمن اتصف بالعظمة، الفعل عظم يعظم عظماً، يعني كبر واتسع وعلا شأنه وارتفع، ولفلان عظمة عند الناس أي حرمة يعظم لها، أعظم الأمر وعظّمه فخّمه.

صفة العظمة:

و"العظيم" اسم من أسماء الله تعالى الحسنى، و"العظمة" صفةٌ من صفاته سبحانه، ولا ريب أنها صفة مدح وكمال.

وصفة العظمة لله تعالى تعني العظمة في كل شيء، بما يليق به سبحانه، فهو عظيم في ربوبيته، عظيم في ألوهيته، عظيم في أفعاله، عظيم في قدرته، ولا يوجد وصف للعظمة مما يليق بجلاله سبحانه إلا وهو متصف به.

فالله تعالى عظيم في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله كلها، فلا يجوز قصْر عظمته في شيء دون شيء منها.

والله تبارك وتعالى هو العظيم في ذاته، العظيم في أسمائه، العظيم في صفاته، العظيم في خلقه وأمره، العظيم في دينه وشرعه، العظيم في ملكه وسلطانه.

وهو سبحانه الملك المتفرد بالخلق والإيجاد، والتصريف والتدبير، كل يوم هو في شأن، يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويعز ويذل، ويعطي ويمنع، ويرفع ويخفض، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه.

وهو سبحانه الكبير الذي له الكبرياء في السماوات والأرض، الجبار الذي قهر الجبابرة بجبروته، وعلاهم بعظمته، القاهر فوق عباده، القاهر لهم على ما أراد، الفعال لما يشاء.

وهو سبحانه القوي العزيز الذي لا يعجزه شيء، ولا يغلبه شيء، ولا يعزب عنه شيء، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء، المحيط بكل شيء، العالم بكل شيء، الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

الأدلة على صفة العظمة:

صفة "العظمة" من صفات الله عز وجل الثابتة بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة الكثيرة، ومن ذلك :

أن العباد مأمورون بتعظيم الله عز وجل، **قال الله تعالى :(مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) (نوح:13).**

وقارا: أي عَظمة، وقال ابن عباس :لا تعظمون الله حق عظمته، وقال الحسن :لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة".

ومهما عمل الخلق مِنْ تعظيمٍ لله تعالى، فإنهم عاجزون عن تعظيمه كما ينبغي له أن يُعَظَّم، فحقه عز وجل أعظم، وقدْره أكبر، ولكن المؤمنين يسعون في ذلك جهدهم، ويبذلون وسعهم، والعظيم سبحانه لا يضيع عملهم، ويجزيهم على قليل سعيهم أعظم الجزاء وأجزل المثوبة، فهو العظيم الكريم.

وقال الله تعالى :(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) {الزمر:67).

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) ما عظَّموه حق عظمته حين أشركوا به غيره،

وقال الله تعالى :(ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) (الحج:32). : **(وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ)** أي: أوامره.

فتعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب، فالمُعَظِّم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه، لأن تعظيمها تابع لتعظيم الله وإجلاله."

وحديث الشفاعة الطويل الذي رواه البخاري في صحيحه، وفيه **يقول الله تعالى : (وعِزَّتي وجَلَالِي، وكِبْرِيَائِي وعَظَمَتي لَأُخْرِجَنَّ منها مَن قال: لا إلَهَ إلَّا اللَّه)**

والنبي صلى الله عليه وسلم كان عنده استشعار لعظمة الله؛ **ولذلك لما جاءه رجل وقال: (يا رسول الله، ما شاء الله وشئت) قال: (أجعلتني لله نداً؟ بل قل ما شاء الله وحده)** (صحيح النسائي).

وجاءه رجل آخر فقال: (يا رسول الله، إني أسألك بالله أن تشفع لي إلى الله، وأسأل الله أن يشفعك فيّ.) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سبحان الله! سبحان الله! سبحان الله! وما زال يسبح حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: (ويحك!

أتدري ما تقول؟! إن الله لا يُستشفع به على أحد من خلقه) رواه أبو داود وأحمد بإسناد صحيح.

وهذا كما يقول بعض الناس: علشان (من أجل) خاطر النبي، طيب علشان خاطر ربنا. فهو يسأل بالله ويستشفع بالله.

فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله (حتى رؤي ذلك في وجهه. وقال: (إنه لا يُستشفع بالله على أحد) لأن معنى الكلام: أنا أقدم بين يدي حاجتي أقدم الله شفيعا لك أستشفع به عليك!!!

وهذا أمر مرفوض تماما إذ كيف يستشفع بالله عندك أيها العبد الفقير الضعيف ثم تقول: لا، لن أقبل هذه الشفاعة.

فهنا النبي يعلمنا تعظيم الله وتعظيم قدر الله عز وجل: إنه لا يُستشفع بالله على أحد يرضى أو يسخط، يقبل أو يرفض؛ فهذا ليس من تعظيم الله سبحانه وتعالى.

ما هو الطريق إلى إدراك عظمة الله؟

1- إدراك عظمة الله عز وجل بالتعرف على أسمائه الحسنى وصفاته العلا.

2- إدراك عظمة الله جل وعلا بما نتلو من آيات القرآن.

3- مدارسة أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

4- التفكر في جلال الله وعظمته من خلال هذا الكون الذي أمامنا.

كيف نعظم الله؟

1- تعظيم أمره ونهيه، **قال تعالى: (ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه) (سورة الحج، الآية 30).**

2- من تعظيم الله عز وجل تعظيم كلامه وتعظيم آياته بتعظيم القرآن الكريم، ورب العالمين وصف القرآن بالعظمة فقال: **(ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن**

العظيم) [سورة الحجر، الآية 87] فَعظمة هذا القرآن أنه كلام الله؛ فتعظيم القرآن تعظيم لله عز وجل.

3- تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم: بحبه، وتعظيم طاعته، وتعظيم أمره ونهيه، واتباع سنته؛ فهذا من تعظيم الله جل وعلا. **قال تعالى: (من يطع الرسول فقد أطاع الله) [سورة النساء، الآية 80]**

4- من تعظيم الله عز وجل تعظيم شعائر الله، وشعائر الله يعني العبادات: النسك، الحج، الصيام، الصلاة، الذكر، كل ما فيه عبادة لله، يعظم ولا يحقر ولا يُستهان به. **قال تعالى: (ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) (سورة الحج، الآية 32).**

5- أن يتواضع كل التواضع لعظمة الله جل في علاه:

فلا يتعاظم في نفسه بحال من الأحوال، إذ أنه من أظلم الظلم أن تطلب التعظيم والتوقير لنفسك، وأنت لست معظِّماً لله ولا لأمره جل في علاه، فالواجب عليك أن تعظم الله، فتتواضع كل التواضع لله جل في علاه، فلا تتعاظم في داخل نفسك ولا تتكبر؛ لأن الله جل وعلا يبغض المتكبرين، وقد بيَّن على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم :**(أنه لن يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)**، والعياذ بالله، فأصل تعظيم الله جل في علاه تواضع المخلوق لعظمة الخالق.

ما سبب عدم تعظيم الله سبحانه وتعالى؟

عدم تعظيم الله سبحانه وتعالى يرجع إلى عدة أسباب أهمها:

1. الكفر بالله:

ليس هناك أعظم من الكفر بالله، هذا أعظم ذنب، **ولما سئل النبي صلى الله عليه وسلم، أي الذنب أعظم؟ قال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك) (صحيح البخاري)**

فالذي يعبد مع الله إلهاً آخر، أو يعبد غير الله، هذا لا يدرك عظمة الله تعالى وجلاله سبحانه وتعالى .

2. الجهل بالله وصفاته:

عدم معرفة الإنسان بصفات الله العظيمة وأسمائه الحسنى قد يؤدي إلى نقص في إدراك عظمته. **قال الله تعالى" إنما يخشى الله من عباده العلماء "(سورة فاطر: 28)**، مما يدل على أن العلم بالله يؤدي إلى خشيته وتعظيمه.

3. ضعف الإيمان:

ضعف الإيمان في القلب يجعل الإنسان لا يشعر بجلال الله وهيبته؛ فالقلوب إذا امتلأت بالإيمان، زاد تعظيمها لله.

4. الغفلة والمعاصي:

فالغفلة والمعاصي تبعد عن الله، إدراك عظمة الله معناه إدراك المعرفة، والمعرفة تولد الطاعة، والطاعة تولد القرب، وهكذا تجد سلسلة متلاحقة.

أما المعاصي والغفلة عن الله، فإنها تسبب البعد عن الله، وعدم إدراك عظمته وجلاله.

5. تعظيم ما حقر الله:

سواء كان هذا المعظم ملكاً، أو سلطاناً ظالماً، أو معتدياً، أو كافراً، أو مثلاً رمزاً من الرموز: فاسق مجاهر بمعصية، قائد أو إمام لبدعة- نسأل الله العافية-، كل هذا تعظيم لما حقره الله سبحانه وتعالى، فمن عظم ما حقر الله، لم يعظم الله، من عظم ظالماً، فهذا كما قال العلماء: (فقد أحب أن يُعصى الله في الأرض) من عظم فاسقاً، من عظم مبتدعاً، من عظم عاصياً، كل هذا تعظيم لغير الله سبحانه وتعالى.

6. اتباع الهوى:

قال تعالى" أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم "(سورة الجاثية: 23)، فاتباع الشهوات والهوى يجعل الإنسان يغفل عن عظمة الله ويقدّم رغباته على طاعة الله.

7. قلة التدبر والتأمل في خلق الله:

عدم التفكر في خلق السماوات والأرض، والآيات الدالة على عظمة الله يجعل القلب قاسيًا وغير متأثر بجلال الله.

8. ضعف التربية الدينية:

إذا نشأ الإنسان في بيئة لا تُعظم شعائر الله ولا تعلّم العقيدة الصحيحة، فقد يفتقد إلى الأساس الذي يربطه بعظمة الله، وبعض المجتمعات تركز على المادية وتبتعد عن القيم الروحية، مما يؤدي إلى ضعف الإيمان بالله.

****

الخاطرة الثانية
شرح اسم الله العظيم

أولا / المعنى في حق الله جل وعلا:

هو سبحانه ذو العظمة والجلال، فهو عظيم الشأن جليل القدر، لا شيء أعظم منه سبحانه، وليس لعظمته بداية ولا لجلاله نهاية.

ثانيا/ وروده في القرآن الكريم والسنة المطهرة:

وورد هذا الاسم في القرآن 9 مرات منها:

قوله تعالى: (ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم) [البقرة 255]، و: (له ما في السماوات وما في الأرض وهو العلي العظيم) [الشورى:4]، و(فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) [الواقعة: 96] ، و ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ) [الحاقّة: 33]

ورود في السنة:

عن حذيفة بن اليمان (أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول إذا ركع: سبحان ربي العظيم ثلاث مرات، وإذا سجد قال :سبحان ربي الأعلى ثلاث مرات) سنن ابن ماجه.

وقال صلى الله عليه وسلم:(من قال سبحان الله العظيم وبحمده، غُرست له بها نخلة في الجنة (رواه الترمذي وصححه الشيخ الألباني

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: (كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ) رواه البخاري

ثالثا/ تأملات في رحاب الاسم الجليل:

إن عظمة الله لا يعلمها إلا الله – جل وعلا -، ولكن الله – جل وعلا – بين لنا ما يدل على عظمته بقدر ما تتسع له عقولنا وإلا فإن عظمة الله – تعالى -لا يحيط بها ولا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾) البقرة: 255)

قال ابن كثير – رحمه الله -: (أيْ: لا يطَّلع أحدٌ مِن علْم الله على شيء إلا بما أعلمه الله – عز وجل – وأطْلَعه عليه، ويحتمل أن يكون المرادُ: لا يطَّلِعون على شيء من علم ذاتهِ وصفاتهِ إلا بما أطْلعهم الله عليه، كقوله: **﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ طه: 110"** اهـ كلامه – رحمه الله .

وعظمة الله تعالى لا يعرفها إلا المؤمنون الموحدون الذين امتلأت قلوبهم بمعرفة الله وإجلاله وتعظيمه، وهذه العظمة التي اختص الله بها نفسه تقف الخلائق تجاهها حائرة مهما بلغت من التقدم والرقي في الدنيا.

إن من عظمة الله وقوته وقدرته أن الخلائق بالنسبة إليه لا تساوي شيئاً، وإذا كان كرسي الله الذي هو موضع قدميه سبحانه قد وسع السماوات والأرض فما نسبته للعرش؟ ثم ما نسبة العرش لله سبحانه؟!!

وقد جاء في آية الكرسي قوله عز وجل: **{وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [البقرة: 255].**

وفي حديث أبي ذر الغفاري الطويل أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، فأيُّ ما أنزل الله عليك أعظم؟، قال: (آية الكرسي) ثم قال: (يا أبا ذر، ما السماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة)

إن الناظر إلى الكون وما يحويه من كواكب عظيمة وأفلاك ضخمة بعد تطور أجهزة الأرصاد والكشف وتقريبها للبعيد ليرى العظمة التي يحار دونها العقل! إذا كانت هذه الأرض التي تعيش عليها الكائنات الحية ما هي إلا كذرة في الكون! فكيف إذا قورنت الأرض الصغيرة المعلقة في الهواء بالمجموعة الشمسية!!!

ثم ما النسبة إذا قورنت هذه المجموعة بالمجموعات الأخرى؟!

وكل هذه المخلوقات ما هي إلا من مكونات السماء الدنيا!!!

فكيف بالسماوات الأخرى وما تحويها من عجائب لا يعلمها إلا الله؟

إن الإنسان ضعيف كل الضعف، وهو حين يعصي الله العظيم يصبح أضعف من أي شيء! وكل هذا يبين لنا عظمة الله تعالى وأن الخلائق هذه التي خلقها كلها في ستة أيام لتنبئ عن أن هناك خالقاً عظيماً كبيراً جليلاً سبحانه وبحمده لا إله إلا هو.

ومن عظمة الله وقدرته أنه يجعل السماوات والأرض يوم القيامة جميعاً في قبضته ويهزهن هزاً، فيهتز لعظمته كل شيء، إنه العظيم الكريم، **يقول عز وجل: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر: 67].**

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جَاءَ حَبْرٌ مِنْ الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السماوات عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ! فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسماوات مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} متفق عليه. وفي رواية: (ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أنا الملك..).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟). رواه مسلم.

وقال تعالى في بيان عظمته: {يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [غافر: 16].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ! ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟). متفق عليه.

وما الإنسان الذي يتكبر ويتعاظم بجانب هذا الكون الفسيح؟

قال تعالى: {لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [غافر: 57].

لقد خلق الله تعالى الكون في ستة أيام بدون تعب ولا مشقة وإن ذلك عليه ليسير، كما قال سبحانه: **{وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ} [سورة ق: 38].**

أي عظمة هذه؟ وأي قوة؟ وأي قدرة؟ فسبحان العلي العظيم..

وربُّنا – عزَّ وجلَّ – عظيمٌ في ذاته، كما قال عن نفسه: **﴿لَهُ مَا فِي السماوات وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ * تَكَادُ السماوات يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾) الشورى: 4 – 5)** أي يتشقَّقْن مِن عظَمة الله – جلَّ وعلا.

وفي صحيح أبي داود عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – أن رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: (أُذن لي أن أحدِّث عن ملَكٍ من ملائكة الله مِن حَمَلة العرش، إن ما بين شحْمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سَبْعمائة عام)

هذه صفة ملَكٍ من حملةِ العرش ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾]الحاقة: 17]

وهذا بعضٌ مما أخبرنا الله عن نفسه وأخبَرَنا رسولُه – صلَّى الله عليه وسلَّم.

يقول رسول الله – صلى الله عليه وسلَّم -: (إنِّي أرى ما لا ترَوْن، وأسْمع ما لا تَسْمعون، أطَّت السَّماء – أيْ: صاحتْ وأنَّتْ من ثِقَل ما عليْها من الملائكة – وحقَّ لها أنْ تئطَّ، ما فيها موْضِعُ أرْبع أصابع إلاَّ وملَكٌ واضعٌ جبْهته ساجدًا لله، واللهِ لوْ تعْلمون ما أعْلم لضَحِكْتم قليلاً ولبكيْتم كثيرًا، وما تلذَّذْتم بالنِّساء على الفرشات، ولخرَجْتم إلى الصُّعدات تجْأرون إلى الله)

وقفة مع قول الله تعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم)

يقول تعالى: (فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) (الواقعة:75-76).

يقول الدكتور زغلول النجار على موقعه: في هاتين الآيتين الكريمتين يقسم ربنا تبارك وتعالى ـ وهو الغني عن القسم ـ بمواقع النجوم، ثم يأتي جواب القسم:

(إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ. لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ المُطَهَّرُونَ. تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ العَالَمِينَ) (الواقعة:77-80) .

والمعنى المستفاد من هذه الآيات الكريمة أن الله تعالى يخبرنا بقوله (عز من قائل) : أقسم قسما مغلظا بمواقع النجوم ـ وأن هذا القسم جليل عظيم ـ لو كنتم تعرفون قدره ـ أن هذا القرآن كتاب كريم ، جم الفوائد والمنافع ، لاشتماله على أصول الدين من العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات ، وغير ذلك من أمور الغيب وضوابط السلوك وقصص الأنبياء وأخبار الأمم السابقة والعبر المستفادة منها ، وعدد من حقائق ومظاهر الكون الدالة على وجود الله وعلى عظيم قدرته، وكمال حكمته وإحاطة علمه....ثم يكمل قائلا :

تفسير القسم بمواقع النجوم :

ومواقع النجوم هي الأماكن التي تمر بها في جريها عبر السماء ... وهذا القسم القرآني العظيم بمواقع النجوم يشير إلى سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى إحدى حقائق الكون المبهرة، والتي تقول أنه نظرا للأبعاد الشاسعة التي تفصل نجوم السماء عن أرضنا فإن الإنسان على هذه الأرض لا يرى النجوم أبدا، ولكنه يرى مواقع مرت بها النجوم ثم غادرتها ، وعلى ذلك فهذه المواقع كلها نسبية ، وليست مطلقة ، ليس هذا فقط بل إن الدراسات الفلكية الحديثة قد أثبتت أن نجوما قديمة قد خبت أو تلاشت منذ أزمنة بعيدة ، والضوء الذي انبثق منها في عدد من المواقع التي مرت بها لا يزال يتلألأ في ظلمة السماء في كل ليلة من ليالي الأرض إلى اليوم الراهن ، كما أنه نظرا لانحناء الضوء في صفحة الكون فإن النجوم تبدو لنا في مواقع ظاهرية غير مواقعها الحقيقية ، ومن هنا كان هذا القسم القرآني بمواقع النجوم ، وليس بالنجوم ذاتها ـ على عظم قدر النجوم ـ التي كشف العلم عنها أنها أفران كونية عجيبة يخلق الله (تعالى) لنا فيها كل صور المادة والطاقة التي ينبني منها هذا الكون المدرك .أ.هـ

وأمام هذه العظمة لا بد أن يقف الإنسان وقفات يعرف بها أين هو من هذه العظمة وما دوره تجاهها:

1. أن يعلم الإنسان أنه ضعيف بخلقته وطبيعته، ولتقوية ذلك الضعف عليه أن يكون من المطيعين لله حتى يقوى ويكون من المقربين، فإنه لو عصى الله وتكبر عليه ازداد ضعفاً وذلاً وهواناً وبُعداً من ربه.

2- أنه لا بد من التفكر في خلق السماوات والأرض للتعرف على الله الخالق العظيم، وقد أثنى الله على المتفكرين في عظمة الكون، **فقال: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران: 190-191].**

3. أن يسخر الإنسان وسائل التطور الحديثة في طاعة الله وفي الدعوة إلى سبيله، وأن يزيده النظر في الكون بصيرة إلى بصيرته وإيماناً إلى إيمانه، وخاصة عندما يرى الأرض من مكان بعيد وهي تتحرك كالكرة في الجو، وكلما سمع عن اكتشاف جديد لما في هذا الكون من أسرار ذكر عظمة الله وزاده ذلك قوة في دينه واستقامة على شرع ربه.

4. عند النظر في عظمة الكون المخلوق لله فإنه يجب على الإنسان أن يتواضع وأن يعلم أنه مخلوق صغير جداً يتحرك على ظهر الأرض، وهذا يزيده معرفة بنفسه وذاته، ويكون على علم ويقين أنه مخلوق ضعيف، وأنه عائد إلى الله العلي العظيم.

رابعا/ ثمار الإيمان بالاسم الجليل:

1- إثبات صفة العظمة لله عز وجل إثباتا يليق به سبحانه لا يشبهه في ذلك أحد من خلقه ولا يدانيه كما في قوله سبحانه: **(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [الشورى:11]**

2- تمجيده سبحانه ومدحه والثناء عليه باسمه العظيم، والاستعاذة به قال تعالى: **(فسبح باسم ربك العظيم) [الواقعة :74]**

وعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما :–أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل المسجد قال:(أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم) .رواه أبو داود وصححه الألباني.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو عند الكرب: (لا إله إلا الله العظيم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب العرش العظيم)

3- تعظيم أمره سبحانه ونهيه فيطاع فلا يعصى، ويُذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يُكفر، ومن ذلك تعظيم نصوص الكتاب والسنة والاستسلام لها وعدم التقدم بين يدي الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم برأي أو اجتهاد، قال تعالى :

(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) [النساء :65]

4- ومن تعظيم الله سبحانه أن تعظم شعائره وحرماته، قال سبحانه **(ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه) [الحج :30]، وقال تعالى: (ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) [الحج :32]**

والنظر عند ارتكاب المعصية إلى قدر من عُصي وعَظمَته وأن في ذلك انتهاك لحرمته سبحانه، قال الأصبهاني – رحمه الله – (فينبغي لمن عرف حق عظمة الله ألا يتكلم بكلمة يكرهها الله، ولا يرتكب معصية لا يرضاها الله، إذ هو القائم على كل نفس بما كسبت). الحجة في بيان المحجة (142/1)

ويقول ابن القيم – رحمه الله-:(فإن عظمة الله تعالى وجلاله في قلب العبد وتعظيم حرماته يحول بينه وبين الذنوب والمتجرئون على معاصيه ما قدروه حق قدره). الجواب الكافي (ص46)

ويقول أيضا- رحمه الله-:(من عظم وقار الله في قلبه أن يعصيَه، وقره الله في قلوب الخلق أن يُذلُّوه). فوائد الفوائد (ص346)

وقال أيضا –رحمه الله-:(من أعظم الظلم والجهل أن تطلب التعظيم والتوقير من الناس وقلبك خال من تعظيم الله وتوقيره). الفوائد (187)

الخاطرة الثالثة

تفسير آية الكرسي

أعظم آية في كتاب الله هي آية الكرسي؛ ففيها من المعاني ومن صفات الله وأسمائه وتنزيهه ما لا يحيط به إنسان، ولا يسطره بنان.

ومن تأمل هذه الآية وتدبرها ظهر له من هذه المعاني ما يُعرّفه بقدر هذه الآية، وفضلها وعلوّ منزلتها، فحريّ بكل مسلم أن يحفظها، وأن يعي تفسيرها؛ ليكون له عند الله الثواب العظيم، والأجر الجزيل.

فضلها:

هي أعظم آية في القرآن، تتكون من خمسين كلمة، وتكرر فيها اسم الله جل وعلا ثماني عشرة مرة ما بين مضمر وظاهر.

والرسول صلى الله عليه وآله وسلم بين فضل هذه الآية ومكانتها في عدد من أحاديثه صلى الله عليه وآله وسلم:

1- آية الكرسي هي أعظم آية في القرآن الكريم:

عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أبا المنذر -يخاطب النبي أُبي بن كعب – أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم؟ فقال أُبي بن كعب: {اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة:255] يقول أُبي: فضرب النبي صلى الله عليه وسلم في صدري وقال: ليهنك العلم -أي: هنيئاً لك العلم- أبا المنذر) رواه الإمام مسلم

2- اشتمالها على اسم الله الأعظم:

عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (في هاتين الآيتين: {اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} و {الم * اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [آل عمران:1 – 2]: إن فيهما اسم الله الأعظم) أخرجه الإمام أحمد وحسنه الألباني

يستفاد من هذا الحديث أن اسم الله الأعظم هو: الله لا إله إلا هو الحي القيوم؛ لأن هذا هو القاسم المشترك بين هذين الموضعين.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن اسم الله الأعظم في ثلاث سور في القرآن: في سورة البقرة، وآل عمران، وطه) فالتمستها فوجدت في سورة البقرة قول الله تعالى: {اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} آية الكرسي، وفي سورة آل عمران: {الم * اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [آل عمران:1 – 2] وفي سورة طه: {وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ} [طه:111]. صححه الألباني في صحيح ابن ماجة

فمن رغب في الدعاء باسم الله الأعظم ليستجاب له فليدعُ بما جاء في آية الكرسي: **{اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}**، فمن توفيق الله سبحانه وتعالى للعبد أن يدعو الله عز وجل باسمه الأعظم؛ لأن الإنسان إذا دعا باسم الله الأعظم وتوسل به فإنه إذا سأل الله أعطاه، وإذا دعاه أجابه.

والاسم الأعظم لله سبحانه يحتاج إلى بحث مستقل، وهناك خلاف كبير بين العلماء في تعيين اسم الله الأعظم، والروايات.[1]

في هذا كثيرة، لكن هذه إحدى الروايات التي تؤيدها بعض الأدلة في أن اسم الله الأعظم هو: {اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن اسم الله الأعظم هو: الحي، حيث قال: فالحي نفسه مستلزم لجميع الصفات، وهو أصلها؛ ولهذا كانت أعظم آية في القرآن: {اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} وهو الاسم الأعظم؛ لأنه ما من حي إلا هو شاعر مريد، فاستلزم جميع الصفات، فلو اكتفي في الصفات بالتلازم لاكتفى بالحي؛ لأنه لو لم يكن إلا اسمه الحي لاستلزمت حياته سائر الصفات.

فرأي ابن تيمية: أن (الحي) هو اسم الله الأعظم.

---

(1) وسيأتي الكلام في خاطرة مستقلة عن اسم الله الأعظم.

أما ابن القيم فإنه يرى أن اسم الله الأعظم هو: الحي القيوم، فقد قال: اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، هو اسم (الحي القيوم).

3- قراءة آية الكرسي بعد كل صلاة من أسباب دخول الجنة:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة، لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت) رواه النسائي وصححه الألباني

قوله: (لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت): أي: أن الموت يكون هو الحاجز بينه وبين دخول الجنة، فإذا انقضى هذا الحاجز -الموت- حصل دخول الجنة.

وهذا يدل على أن من أراد أيضاً أن يختم له بخير فليحرص على آية الكرسي دبر الصلاة المكتوبة

4- آية الكرسي من أعظم ما يحصن العبد من الشيطان الرجيم:

فالشيطان يسعى إلى الإضرار بالعباد، والله عز وجل -وهو الرؤوف بالعباد- شرع لهم أموراً تقيهم من شر الشيطان وتبعده عنهم.

فمن تلك الأمور التي يتقى بها شر الشيطان: قراءة آية الكرسي، فقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قراءة آية الكرسي تبعد الشيطان عن قارئها وتحفظه من شره.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: (وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ يحثو من الطعام فأخذته، وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال: دعني فإني محتاج وعليَّ عيالٌ وبي حاجةٌ شديدة

يقول أبو هريرة: فرحمته فخليت سبيله

فلما أصبحت سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: ما فعل أسيرك البارحة يا أبا هريرة؟

فقلت: يا رسول الله! اشتكى حاجة وعيالاً وفقراً فرحمته وخليت سبيله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما إنه قد كذبك وسيعود

يقول أبو هريرة: فعرفت أنه سيعود لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما جاء يحثو من الطعام أخذته، وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاشتكى إلى أبي هريرة ما شكاه المرة الأولى، قال: دعني فإني محتاج وعليَّ عيال وبي حاجة شديدة

يقول أبو هريرة: فرحمته وخليت سبيله، فلما أصبحت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما فعل أسيرك البارحة يا أبا هريرة؟

فقال: يا رسول الله! اشتكى إليَّ عيالاً وحاجةً وفقراً فرحمته وخليت سبيله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما إنه قد كذبك وسيعود

يقول: فعرفت أنه سيعود فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام فأخذته، وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها

قال أبو هريرة: ما هن؟

فقال له: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: {اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [البقرة:255] إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي فإنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطانٌ حتى تصبح

يقول فلما أصبحت سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم: وقال: ما فعل أسيرك البارحة يا أبا هريرة؟

فقال أبو هريرة: زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هن؟

فقال أبو هريرة: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي فإنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطانٌ حتى تصبح، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما إنه قد صدقك وهو كذوب، ألا تعرف من تخاطب منذ ثلاثٍ يا أبا هريرة؟

قال أبو هريرة: لا.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ذاك شيطان) صحيح البخاري

تفسير آية الكرسي:

{اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} هذا هو شعار الإسلام، وهذه كلمة الإخلاص، لا إله إلا الله، أي: لا إله حق إلا الله تبارك وتعالى.

فالمعنى: أن الله جل جلاله هو المتفرد في استحقاق العبودية، فلا يعبد أحد سواه كائناً من كان، بأي نوع من أنواع العبادات.

وروى البخاري عن معاذ رضي الله عنه قال: (كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم، فقال يا معاذ! هل تدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله: ألاّ يعذب من لا يشرك به شيئاً).

وصدق الشاعر حينما قال:

الله ربي لا أريد سواه ****هل في الوجود حقيقة إلاه

الشمس والبدر من أنوار حكمته ****والبر والبحر فيض من عطاياه

الطير سبحه والوحش مجده ****والموج كبره والحوت ناجاه

والنمل تحت الصخور الصمِّ قدسه**** والنحل يهتف حمداً في خلاياه

والناس يعصونه جهراً فيسترهم**** والعبد ينسى وربي ليس ينساه

وقال شاعر آخر:

سل الواحة الخضراء والماء جاريا ***وهذي الصحاري والجبال الرواسيا
سل الروض مزداناً سل الزهر والنـدى*** سل الليل والأصداح والطير شاديا
وسل هذه الأنسام والأرض والسما ***وسل كل شيء تسمع التوحيد لله ساريا
ولو جن هذا الليل وامتد سرمدا*** فمن غير ربي يرجع الصبح ثانيا

(الحي) الباقي الدائم الذي لا يموت أبداً، وإثبات هذا الاسم بهذا المعنى يستلزم أن كل ما سوى الله تبارك وتعالى ميت، فإن الحياة الأزلية الأبدية الدائمة ليست إلا لله الأحد تبارك وتعالى، وكل من سواه كائناً من كان فإنه هالك وميت.

يقول عز وجل: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [القصص:88] ، وقال: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ} [الرحمن:26 – 27].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: (جاء جبريل عليه السلام فقال: يا محمد! عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به، ثم قال: واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعزّه استغناؤه عن الناس) رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الحافظ الذهبي رحمهم الله تعالى.

الشاهد قوله: **(يا محمد! عِشْ ما شئت)**، أي: افترض أنك تعيش ما شئت، فلا بد في النهاية من الموت، فإنك ميت.

ونلاحظ أن الله سبحانه وتعالى ذكر اسم الحي مباشرة بعد قوله: **(اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)**، وفي ذلك استدلال على إثبات تفرده بالألوهية، فكأن الحي دليل لإثبات قوله: **(الله لا إله إلا هو)**، فالدليل على أنه لا إله إلا هو: أنه الحي، فهذا استدلال على إثبات تفرده بالألوهية وإبطال عبودية كل من سواه؛ لأنه لا يستحق العبادة إلا من كان حياً بالحياة

الذاتية الدائمة الأبدية، وحيث لا حي بهذه الحياة إلا الله الأحد، فلا يستحق العبادة إلا هو.

وقد يقول قائل: إن هذه الأصنام كانت جمادات، ولكن من عبد إنساناً أو كائناً حياً فإنه يعبد حياً، نقول: لا، يوجد وصف الحياة المستقلة الذاتية التي لم تأتِ بمصدر آخر سوى الله سبحانه وتعالى، فليس هناك حي بهذا المعنى إلا الله، وبالتالي فلا ينبغي أن يُعبد إلا الله؛ لأن حياة كل ما سوى الله إنما هي من عند الله، فهو الذي يحيي ويميت، وغيره لا يحيي ولا يميت.

وقد نبّه أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه إلى التلازم بين الحياة الدائمة واستحقاق العبودية، وهذا كان في الخطبة التي ألقاها رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن الصحابة كانت الصدمة عليهم أشد ما تكون، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: **(من كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت)**

فأراد أبو بكر أن يلفتهم إلى أنه لا غرابة في أن يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه ليس إلهاً يُعبد، وإنما هو بشر من البشر، وأن الذي نعبده هو الله عز وجل، فهو حي لا يموت.

(القيوم) قال الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى: **(الحي)** كمال الأوصاف، **و(القيوم)** تعبير عن كمال الأفعال.

(القيوم) مأخوذ من القيام، ومعناه: أنه جل جلاله قائم بأمر الخلق برزقه ورعايته وحفظه، وما من شيء إلا وإقامته بأمره وتدبيره سبحانه وتعالى.

وهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه، فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه، المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته.

وذكر اسم **(القيوم)** لله عز وجل بعد **(الله لا إله إلا هو)** فيه ما يدل على تفرده تعالى بالألوهية والعبودية؛ لأنه هو المتفرد لقيام أمر الخلق، من رزقهم وحفظهم ورعايتهم من غير ندّ ولا شريك، فما دام لم يقم الخلق، ولم يدبر أمرهم، ولم يرزقهم، ولم

يُحيهم، ولم يعافهم، ولم يفعل بهم كل هذا إلا الله عز وجل وحده، فينبغي ألا نوجّه العبادة إلا إلى الله عز وجل؛ لأنه هو المستحق وحده لجميع أنواع العبادات، دون أن يشرك معه فيها أحد.

(لا تأخذه سنة ولا نوم) {لا تأخذه} أي: لا تغلبه سنة وهي الوسن والنعاس (والوسن أول النوم) ولهذا قال: **{ولا نوم}** لأنه أقوى من السنة، أي لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت شهيد على كل شيء لا يغيب عنه شيء ولا يخفى عليه خافية، ومن تمام القيومية أنه لا يعتريه سنة ولا نوم.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: (قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات، فقال: إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل، وعمل الليل قبل عمل النهار، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) صحيح مسلم

قال النووي معناه الإخبار أنه تعالى لا ينام وأنه مستحيل في حقه النوم فإن النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط به الإحساس والله منزه عن ذلك.

وسبحات (بضم السين والباء) وجهه نوره وجلاله وبهاؤه
والمعنى لو أزال المانع من رؤيته وهو الحجاب المسمى نورا وتجلى لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته.

وحديث موسى الذي ذكر فيه أنه سأل الملائكة هل ينام الله عز وجل؟ فأوحى الله إلى الملائكة وأمرهم أن يؤرقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا، ثم أعطوه قارورتين فأمسكهما، ثم تركوه وحذروه أن يكسرهما. قال: فجعل ينعس وهما في يده في كل يد واحدة قال: فجعل ينعس وينبه وينعس وينبه حتى نعس نعسة فضرب إحداهما بالأخرى فكسرهما قال معمر: إنما هو مثل ضربه الله عز وجل يقول: فكذلك السماوات والأرض في يديه.

قال ابن كثير معلقا: وهو من أخبار بني إسرائيل وهو مما يعلم أن موسى عليه السلام لا يخفى عليه مثل هذا من أمر الله عز وجل وأنه منزه عنه.

وعلى هذا أخطأ من رواه على سبيل الاستشهاد، بل الأولى ذكره للتحذير منه لأن شبهة الوضع عليه ظاهرة.

(له ما في السماوات وما في الأرض) إخبار بأن الجميع عبيده وفي ملكه وتحت قهره وسلطانه كقوله: **{إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا * وكلهم آتيه يوم القيامة فردا} [مريم: 93-95]**

فالملك ملكه، والجميع تحت قهره وتحت عبوديته.

(من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) فلا يجوز لمخلوق البتة أن يشفع يوم القيامة إلا بعد إذن الله، وبعد رضا الله جل وعلا.

وهذا كقوله: {وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى} [النجم:26]

وكان المشركون يعبدون الأصنام ويقولون: إنها تشفع لهم عند الله في الآخرة: **{ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون} [يونس: 18]**

فأمر الحق سبحانه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يبلغ المشركين: قل لهم يا محمد: هل تخبرون الله بشريك لا يعلم الله له وجودا في السماوات ولا في الأرض، وهو الخالق لكل ما في السماوات والأرض ومُنزه سبحانه عن أن يكون له شريك في المُلك.

لقد أرادوا أن يخلوا بقضية التوحيد ويجعلوا لله شركاء ويقولون: إن هؤلاء الشركاء هم الذين سيشفعون لنا عند الله. فيقول الحق سبحانه: إن الشفاعة لا يمكن أن تكون عندي إلا لمن أذنت له أن يشفع. إن الشفاعة ليست حقا لأحد. ولكنها عطاء من الله، لذلك يقول: **{مَن ذَا الذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ}.**

وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه عز وجل أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع عنده إلا بإذنه له كما في حديث الشفاعة: **(آتي تحت العرش فأخر ساجدا فيدعني ما شاء الله**

أن يدعني ثم يقال: ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع قال: (فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة.)

(يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) ما بين أيديهم: الحاضر والمستقبل، وما خلفهم: الماضي، وهذا دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات: ماضيها وحاضرها ومستقبلها

(ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) أي: لا يطلع أحد من علم الله على شيء إلا بما أعلمه الله عز وجل وأطلعه عليه.

ويحتمل أن يكون المراد لا يطلعون على شيء من علم ذاته وصفاته إلا بما أطلعهم الله عليه كقوله: **{ولا يحيطون به علما} [طه:110].**

، فلا يطلع أحد على علم إلا بعد أن يعلمه الله إياه، كما في قصة موسى والخضر عليهما السلام **(وجاء عصفور حتى وقع على حرف السفينة، ثم نقر في البحر، فقال له الخضر: ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من البحر) رواه مسلم**

(وسع كرسيه السماوات والأرض والأرض) عن ابن عباس قال: (الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر أحد قدره) صححه الألباني موقوفا.[2]

وعن أبي ذر الغفاري، أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكرسي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده ما السماوات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة) صححه الألباني

وعن ابن بريدة عن أبيه قال: لما قدم جعفر من الحبشة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:(ما أعجب شي رأيته؟ قال: رأيت امرأة على رأسها مكتل طعام فمر فارس فأذراه (فرقه وبعثره)، فقعدت تجمع طعامها، ثم التفتت إليه فقالت له: ويل لك يوم يضع الملك كرسيه فيأخذ للمظلوم من الظالم! فقال رسول الله صلى الله عليه

(2) وسيأتي الكلام في خاطرة مستقلة عن العرش والكرسي.

وسلم تصديقا لقولها: لا قدست أمة- أو كيف تقدس أمة- لا يأخذ ضعيفها حقه من شديدها).

(ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم) أي: لا يثقله حفظ السماوات والأرض ومن فيهما ومن بينهما، بل ذلك سهل عليه يسير لديه

خلاصة تفسير هذه الآية:

هذه الآية تملأ القلب مهابة من الله وعظمته وجلاله وكماله، فهي تدل على:

1- أن الله تعالى متفرد بالألوهية والسلطان والقدرة.
2- وأنه قائم على تدبير الكائنات في كل لحظة، لا يغفل عن شيء من أمور خلقه.
3- وهو مالك كل شيء في السماوات والأرض.
4- ولا يجرأ أحد على شفاعة لأحد إلا بإذنه.
5- وأنه يعلم كل شيء في الوجود، ويحيط علمه بكل الأمور وأوضاع الخلائق دقيقها وعظيمها.
6- ومن دلائل عظمته أن كرسيه وسع السماوات والأرض.
7- وهو العلي الشأن، القاهر الذي لا يغلب، العظيم الملك والقدرة على كل شيء.

****

الخاطرة الرابعة

تفسير قوله تعالى: (الله نور السماوات والأرض)

نعيش اليوم مع آية من كتاب الله عز وجل لنفهمها ونتدبرها ونعمل بها امتثالا لقول الحق جل وعلا **(افلا يتدبرون القرآن)** [محمد 24]

ولنفقه المثل الذي ضربه الله فيها **قال تعالى: (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) [العنكبوت: 43]**

إنها آية النور من سورة النور يقول فيها الحق تبارك وتعالى:

{الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم} [سورة النور: 35]

قوله تعالى: {الله نور السماوات والأرض}:

النور اسم من أسماء الله الحسنى وصفة من صفاته تعالى العليا، وهي صفة ذات لازمة له تعالى على ما يليق به، فلم يزل ولا يزال سبحانه وتعالى متصفا بها.

وهذا النور الذي هو اسمه وصفته تعالى لا يشبه نور المخلوقين وإنما هو نور يليق بعظمته وكبريائه وجلاله تعالى ولا يعلم كيفيته إلا هو سبحانه وهو القائل جل وعلا: **(يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) طه:110**

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في شفاء العليل: ولما كان النور من أسمائه الحسنى وصفاته كان دينه نورا ورسوله نورا، وداره نورا يتلألأ، والنور يتوقد في قلوب عباده المؤمنين ويجري على ألسنتهم ويظهر على وجوههم. ا. ه

هل رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج؟

اختلف العلماء في ذلك على قولين:

الأول: رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج بعين رأسه، وهذا مروي عن ابن عباس وروي أيضا عن الإمام أحمد.

قال ابن عباس في قوله تعالى: (وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا) قال: هي رؤيا عين أريها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به،

والقول الثاني: أنه رآه بعين قلبه ولم يره بعين رأسه، وهذا هو الصواب الذي عليه المحققون، وهو قول عائشة رضي الله عنها، وقد قالت لمسروق لما قال لها: هل رأى محمد ربه؟ قالت: لقد قف شعري مما قلت، ثم قالت: من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب.

وهذا هو الصواب: أنه رآه بعين قلبه، لا بعين رأسه، والأدلة في هذا كثيرة منها: **قول الله تعالى: (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم)** [الشورى :51]

ونبينا بشر، ما كان لبشر أن يكلم الله إلا من وراء حجاب؛ ولأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يستطيع أن يرى الله في الدنيا ونبينا بشر كلم الله من وراء حجاب، ولهذا لما سأل موسى الرؤيا في الدنيا قال: **(ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين) [الأعراف: 143]**

ومن الأدلة حديث أبي ذر في صحيح مسلم لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم: (هل رأيت ربك؟ قال: نور أنى أراه)

يعني النور حجاب يمنعني من رؤيته كيف أراه.

وحديث أبي موسى في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)

ونبينا من خلقه فلو كشف حجاب النور لاحترق.

السبحات: يقال في السبحة: إنها جلال وجهه ونوره

ومعنى: (لأحرقت سبحات وجهه) أي أنوار وجهه التي توجب تعظيمه وتنزيهه عن صفات المخلوقات وتسبيح الله تعظيمه وتنزيهه عن ذلك.

ولأن رؤية الله نعيم ادخره لأهل الجنة، وليس لأهل الدنيا والنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك من أهل الدنيا فهي نعيم خاص بأهل الجنة.

فالصواب أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير ربه بعين رأسه وإنما رآه بعين قلبه (أي ببصيرته)، وهذا هو الصواب الذي أجمع عليه المحققون.

وقد جمع بينهما شيخ الإسلام ابن تيمية قال: ما روي من الآثار وعن الصحابة أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه محمول على رؤية الفؤاد، وما روي أنه لم يره محمول على رؤية البصر.

فالنصوص التي فيها أن النبي لم يره يعني لم يره ببصره، والنصوص والآثار التي بأنه رآه محمول عنه أنه رآه بقلبه وعلى ذلك تتفق النصوص ولا تختلف.

إذن فالله جل في علاه من صفاته الذاتية أنه نور، والنور من صفاته الفعلية فنور السماوات والأرض من نوره جل وعلا.

هذا وللعلماء في تفسير الآية {الله نور السماوات والأرض} قولان:

الأول: الله منور السماوات والأرض وهذا كقوله عز وجل: **(وأشرقت الأرض بنور ربها) [الزمر:69]** فهذا إشراقها يوم القيامة بنوره تعالى.

وفي الحديث: (اللهم لك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن...)

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه (أعوذ بنور وجهك الكريم أن تضلني لا إله إلا أنت) صححه ابن القيم في كتابه الصواعق المرسلة

وفي الأثر الآخر (أعوذ بوجهك أو بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات)

فأخبر صلى عليه وسلم: أن الظلمات أشرقت لنور وجه الله، كما أخبر تعالى أن الأرض تشرق يوم القيامة بنوره.

وفي معجم الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (ليس عند ربكم ليل ولا نهار. نور السماوات والأرض من نور وجهه.) قال ابن تيمية في الفتاوى اسناده ثابت.

وهذا الذي قاله ابن مسعود رضي الله عنه أقرب إلى تفسير الآية من قول من فسرها بأنه هادي أهل السماوات والأرض، وأما من فسرها بأنه منور السماوات والأرض، فلا تنافي بينه وبين قول ابن مسعود، والحق أنه نور السماوات والأرض بهذه الاعتبارات كلها.

المعنى الثاني: الله هادي أهل السماوات والأرض وهو قول ابن عباس، يعني هو الذي يقذف نور الهداية والتوفيق لعباده المؤمنين.

قال شيخ الإسلام رحمه الله في مجموع الفتاوى: ثم قول من قال من السلف: هادي أهل السماوات والأرض لا يمنع أن يكون في نفسه نورا، فإن من عادة السلف في تفسيرهم أن يذكروا بعض صفات المفسر من الأسماء أو بعض أنواعه، ولا ينافي ذلك ثبوت بقية الصفات للمسمى، بل قد يكونان متلازمين ولا دخول لبقية الأنواع فيه. انتهى

وقال أيضا في موضع آخر: فقول من قال الله نور السماوات والأرض، هادي أهل السماوات والأرض كلام صحيح، فإن من معاني كونه نور السماوات والأرض أن يكون هاديا لهم أما إنهم نفوا ما سوى ذلك، فهذا غير معلوم وأما إنهم أرادوا فقد ثبت عن ابن مسعود قال: إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور السماوات من نور وجهه وقد تقدم عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر نور وجهه وفي رواية: النور ما فيه كفاية، فهذا بيان معنى غير الهداية، وقد أخبر الله في كتابه أن الأرض تشرق بنور ربها، فإذا كانت تشرق من نوره كيف لا يكون هو نورا. انتهى

وقال كذلك رحمه الله: وكذلك من قال منور السماوات والارض لا ينافي أنه نور فهما متلازمان.

قال ابن القيم: وهذا هو النور الذي أودعه الله في قلب عبده من معرفته ومحبته والإيمان به وذكره، وهو نوره الذي أنزله إليهم فأحياهم به وجعلهم يمشون به بين الناس وأصله في قلوبهم، ثم تقوى مادته فتتزايد حتى يظهر على وجوههم وجوارحهم وأبدانهم، بل وثيابهم ودورهم، يبصره من هو من جنسهم وسائر الخلق منكرا، فإذا كان يوم القيامة برز ذلك النور وصار بأيمانهم يسعى بين أيديهم في ظلمة الجسر حتى يقطعوه.

قال تعالى: (مثل نوره) أي مثل هداه في قلب المؤمن أو مثل نور المؤمن الذي في قلبه.

قوله تعالى: (كمشكاة فيها مصباح) والمشكاة هي الكوة التي في الجدار والمصباح: إناء صغير يوضع فيه زيت أو جاز فيما بعد، وفي وسطه فتيل يمتص من الزيت فيظل مشتعلا.

قوله تعالى: (المصباح في زجاجة) وفي زماننا نطلق المصباح على الآلة كلها، وأما في لغة القرآن فالمصباح المراد به الفتيلة، وهذا ظاهر؛ لأن الله قال: **(المصباح في زجاجة)** والفتيلة تقع داخل الزجاجة، ونحن نضع الزجاجة على المصباح لأن الفتيل إذا بقي في الهواء تلاعب به وبدد ضوؤه وسبب دخانا؛ لأنه يأخذ من الهواء أكثر من حاجة الاحتراق؛ لذلك جعلوا على الفتيل حاجزا من الزجاج ليمنع عنه الهواء، فيأتي الضوء منه صافيا لا دخان فيه، وفي مصر يسمون هذا الدخان (هباب).

قوله تعالى: (الزجاجة كأنها كوكب دري) لصفائه ونقائه يعني مضيء كالدر. والعرب تسمي ما لا يعرف من الكواكب دراري.

قوله تعالى: (يوقد من شجرة مباركة زيتونة) فالله يشهد أن هذه الشجرة مباركة، أي: كثيرة النفع، وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما حسنه بعض العلماء: **(كلوا الزيت وادهنوا به، فإنه يخرج من شجرة مباركة)** يعني عليه الصلاة والسلام: زيت الزيتون، وقد ذكر له الأطباء الأوائل جملة من الفوائد فهو كثير النفع، ويقول المؤرخون عن شجرة الزيتون: إنها أول شجرة نبتت بعد الطوفان، حتى إنهم الآن يجعلون غصن الزيتون رمز السلام.

قوله تعالى: (زيتونة لا شرقية ولا غربية) أي: أنها لا تأتيها الشمس من ناحية المشرق ولا من ناحية المغرب، بل هي وسط بين ذلك، لا تتعرض مباشرة للشمس، وأهل الاختصاص يقولون: وهذا أحسن ما يكون من الزيتون، وهو الذي لا يتعرض للشمس تعرضا مباشرا، أي: يأخذ منافع الشمس ولا تحرقه الشمس.

قوله تعالى: {يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار} أي: من صفاء زيتها وجودته وحسنه يكاد من صفائه يشتعل ويتوهج دون أن تمسه النار، وهذا يتنزل على قلب المؤمن الذي بداخله مادة الإيمان، إذا كان القلب أبيض، وفيه الإيمان والفطرة السليمة، فيكاد هذا يتوافق مع ذاك، مادة الإيمان والفطرة السليمة مع قلب أبيض، يكاد هذا الرجل يتكلم بالحكمة قبل أن يأتيه الدليل من كتاب الله أو من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا كان الشخص متخففا من الذنوب وأثقالها، متخففا من مظالم العباد، بداخله فطرة سليمة وإيمان يكاد ينطق بما يوافق الدليل قبل أن يأتيه الدليل من الكتاب والسنة.

فزيت الزيتون إذا أشعلته (بالكبريت) فإنه يتوهج ويعطي أحسن الإضاءة، كذلك إذا جاءت المؤمن -الذي فطرته سليمة- الأدلةُ من الكتاب والسنة ازداد نوراً على نور.

فمثلاً: عمر لفطرته السليمة وإيمانه العظيم، كان يتكلم بالحكمة قبل أن يأتيه الدليل من رسول الله، فإذا جاء الدليل من رسول الله صلى الله عليه وسلم توهج هذا مع ذاك.

قال للرسول صلى الله عليه وسلم: (لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى يا رسول الله! فنزلت: (وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) [البقرة:125]

وقال للرسول صلى الله عليه وسلم: (لو أمرت نساءك بالحجاب يا رسول الله! فتنزل آية الحجاب)

وقال للرسول صلى الله عليه وسلم: (لا تقبل الفدية من أُسارى بدر يا رسول الله! فينزل قول الله تعالى: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ) [الأنفال:67]

وهكذا تأتي موافقات عمر لربه سبحانه، يتكلم بمقتضى الدليل قبل أن يأتي الدليل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى: {نُّورٌ عَلَى نُورٍ} أي اجتمع في المشكاة ضوء المصباح إلى ضوء الزجاجة وإلى ضوء الزيت فصار لذلك نور على نور، فكذلك براهين الله تعالى واضحة وهي برهان بعد برهان، وتنبيه بعد تنبيه، كإرساله الرسل وإنزاله الكتب ومواعظ تتكرر فيها لمن له عقل معتبر .

قال ابن كثير: {نُورٌ عَلَى نُورٍ} نور النار ونور الزيت حين اجتمعا أضاءا ولا يضيء واحد بغير صاحبه، كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتمعا فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه.

نعم فالقلب المتخفف من الذنوب والآثام والمعاصي، المليء بالإيمان، إذا جاءه علم الكتاب والسنة ازداد بهاءً على بهائه، وحسناً إلى حسنه، لكن هذا النور المتفضل به في الأصل هو الله سبحانه وتعالى، فهو الذي يهدي لنوره من يشاء، كما قال سبحانه:

(وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ) [الحجرات:7]

فهذا النور أصله من الله سبحانه وتعالى، فهو المتفضل به على العباد، ومن ثم يقول أهل الإيمان في أُخراهم: **(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) [الأعراف:43]**

قوله تعالى :(يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ) وذلك لئلا يقول قائل: إن الأمر واضح، فنحن سنهتدي إليه، فأخبر الله جل وعلا أنه ليس الأمر كذلك، وإن كان واضحاً جلياً، فقال: **(يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ)**

قوله تعالى: (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) أي: عليم بمن يستحق الهداية فيهديه، وعليم بمن يستحق الغواية فيغويه سبحانه وتعالى، يهب لهذا الإيمان، وهذا تزل قدمه في الكفر والعياذ بالله! **(وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) [الرعد:8]**

قال ابن القيم: وضرب الله عز وجل لهذا النور ومحله وحامله ومادته مثلاً بالمشكاة وهي الكوة في الحائط فهي مثل الصدر، وفي تلك المشكاة زجاجة من أصفى الزجاج

وحتى شبهت بالكوكب الدري في بياضه وصفائه وهي مثل القلب، وشبهها بالزجاجة لأنها جمعت أوصافًا هي في قلب المؤمن، وهي الصفاء والرقة والصلابة، فيرى الحق والهدى بصفائه، وتحصل منه الرأفة والرحمة والشفقة برقته؛ ويجاهد أعداء الله تعالى ويشتد في الحق بصلابته، ولا تبطل صفة منه صفة أخرى ولا تعارضها، بل تساعدها وتعاضدها... وفي الزجاجة مصباح وهو النور الذي في الفتيلة وهي حاملته ولذلك النور مادة... وهو زيت قد عصر من زيتون في أعدل الأماكن، تصيبها الشمس في أول النهار وآخره فزيتها من أصفى الزيت وأبعده عن الكدر حتى إنه ليكاد من صفائه يضيء بلا نار، فهذه مادة نور المصباح، وكذلك مادة نور المصباح الذي في قلب المؤمن هي من شجرة الوحي التي هي أعظم الأشياء بركة وأبعدها من الانحراف، بل هي أوسط الأمور وأعدلها وأخفها... ولما كان ذلك الزيت قد اشتد صفاؤه حتى كاد أن يضيء بنفسه ثم خالط النار فاشتدت بها إضاءته وقويت مادة ضوئه النارية، كان ذلك نورًا على نور... فليتأمل اللبيب هذه الآية العظيمة ومطابقتها لهذه المعاني الشريفة ا. هـ

ومعنى المثل:

أن الكوة -المشكاة- هي قلب المؤمن، والمصباح يضيء من خلال الزيت فاجتمع في الكوة سببان للإضاءة المصباح والزيت، الزيت هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والمصباح هو الآيات البينات المنزلة من الله علينا، وهذه الفطرة لنقائها وصفائها تكاد تهدي صاحبها من غير دليل كما أن الزيت لنقائه وصفائه يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار، فإذا مسته النار أضاء كأعلى وأنقى إضاءة، وكذلك المؤمن يتلقى قلبه الآيات البينات فيزداد هدى ونورا ويقينا بالله.

إذن فقلب المؤمن فيه نورين نور الفطرة، ونور الآيات المنزلة؛ فيكون عنده شفافية وصفاء واشراق ليس في قلبه ظلمة ولا حب للمعصية، ولا إقبال على مساخط الله ومعصيته انما يبصر ويرى بنور الله عز وجل.

وهذا الذي كان يدعوه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب الى المسجد فيسأل ربه عز وجل هذا النور فيقول: **(اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي لساني نوراً، وفي**

سمعي نوراً، وفي بصري نوراً، ومن أمامي نوراً، ومن خلفي نوراً، ومن فوقي نوراً، ومن تحتي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، اللهم أعظم لي نوراً) فالرسول صلى الله عليه وسلم يريد أن تكون حركته في هذا الكون كلها استمداد للنور من الله فلا يخطو خطوة ولا تتحرك فيه جارحة إلا على نور من ربه ، ومعنى هذا الدعاء قد جاء في الآية الكريمة : ﴿**قُلۡ إن صلاتى ونسكى ومحۡياى ومماتى لله رب ٱلۡعٰلمين لا شريك له وبذٰلك أمرۡت وأنا۠ أول ٱلۡمسۡلمين** ﴾ **[الأنعام 162-163]**

فتكون كل حركة للمؤمن في الدنيا هي حركة لمرضاة الله جل وعلا، وهو بطبيعته يفر من كل ظلمة ويبتعد عن كل فتنة يشرق قلبه بالقرآن ويستقبل هداية السنة ويسمع لكلام الله وكلام رسوله ويستجيب فهو من الذين قال الله فيهم: ﴿**إنما كان قَوۡل ٱلۡمؤۡمنين إذا دعوٓاْ إلى ٱلله ورسولهۦ ليحۡكم بيۡنهمۡ أن يقولواْ سمعۡنا وأطعۡنا وأوْلٰٓئك هم ٱلۡمفۡلحون**﴾ **[النور:51]** اللهم اجعلنا منهم.

وشأن المنافقين أنهم أضاء نور الإيمان في قلوبهم لكن هذا النور لم يتلقَ مادة الاشتعال لأن القلب خبيث والعياذ بالله القلب مليء بالظلمة فإذا جاء نور القرآن لم يجد المادة التي تستمد منه فينطفئ النور ، **قال تعالى:** ﴿**مثلهمۡ كمثل ٱلذى ٱسۡتوۡقد نارًا فلمآ أضآءتۡ ما حوۡلهۥ ذهب ٱلله بنورهمۡ وتركهمۡ فى ظلمٰتٍ لا يبۡصرون** ﴾ **[البقرة: 17]**

قال السعدي رحمه الله : أي: مثلهم المطابق لما كانوا عليه كمثل الذي استوقد نارا ، أي: كان في ظلمة عظيمة ، وحاجة إلى النار شديدة فاستوقدها من غيره ، ولم تكن عنده معدَّة ، بل هي خارجة عنه ، فلما أضاءت النار ما حوله ، ونظر المحل الذي هو فيه ، وما فيه من المخاوف وأمنها ، وانتفع بتلك النار، وقرت بها عينه ، وظن أنه قادر عليها، فبينما هو كذلك ، إذ ذهب الله بنوره ، فذهب عنه النور، وذهب معه السرور، وبقي في الظلمة العظيمة والنار المحرقة ، فذهب ما فيها من الإشراق، وبقي ما فيها من الإحراق، فبقي في ظلمات متعددة: ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة المطر، والظلمة الحاصلة بعد النور، فكيف يكون حال هذا الموصوف؟ فكذلك هؤلاء المنافقون، استوقدوا نار الإيمان من المؤمنين، ولم تكن صفة لهم، فانتفعوا بها وحقنت بذلك دماؤهم، وسلمت أموالهم، وحصل لهم نوع من الأمن في الدنيا، فبينما

هم على ذلك إذ هجم عليهم الموت، فسلبهم الانتفاع بذلك النور، وحصل لهم كل هم وغم وعذاب، وحصل لهم ظلمة القبر، وظلمة الكفر، وظلمة النفاق، وظلم المعاصي على اختلاف أنواعها، وبعد ذلك ظلمة النار وبئس القرار.
انتهى من (تفسير السعدي ص 44).

فقلب المنافق لا يستطيع ان يشرق مع نور الايمان، فتجد الناس صنفان كما قال الله تعالى: ﴿**وإذا مآ أنزلتْ سورةٌ فمنْهم من يقول أيكمْ زادتْه هٰذهٓۦٓ إيمٰنًاۚ فأما ٱلذين ءامنوا۟ فزادتْهمْ إيمٰنًا وهمْ يسْتبْشرون وأما ٱلذين فى قلوبهم مرضٌ فزادتْهمْ رجْسا إلىٰ رجْسهمْ وماتوا۟ وهمْ كٰفرون**﴾ **[التوبة 124-125]**

نعوذ بالله من الخذلان ونعوذ بالله من حال أهل النار.

فالآيات واضحة عمن يستقبل هداية الله وقلبه مضيء بنور الإيمان وعمن كان في قلبه ظلمة بشرك أومعصية لله عز وجل اسمعوا لقوله تعالى: ﴿**وإذا ذكر ٱللَّه وحْده ٱشْمأزتْ قلوب ٱلذين لا يؤْمنون بٱلْأٰخرةِۖ وإذا ذكر ٱلذين من دونهٓۦٓ إذا همْ يسْتبْشرون**﴾ **[الزمر 45]**

نعوذ بالله من قلوب مظلمة؛ قلوب لا تقبل إلا على ما فيه مرض، أو ظلمة أو معصية أو فجور أو كفر أو إلحاد فإذا جاءته الفتنة رحب بها وأقبل عليها كما قال الله عن عصاة بني إسرائيل: **(واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) [البقرة:93]**

فالقلوب كالإسفنجة التي تتشرب كل شيء فهي جاهزة ومستعدة للكفر والعياذ بالله، فلما عرض عليهم السامري عبادة العجل أقبلوا عليها وعبدوا العجل من دون الله عز وجل، وهذا الذي يدعونا إلى التحذير من الفتن وأنه لا ينبغي للمسلم كلما تراءت له فتنة أن ينزلق إليها قال تعالى: ﴿**أولا يرونْ أنهمْ يفْتنون فى كل عامٍ مرة أوْ مرتيْن ثم لا يتوبون ولا همْ يذكرون**﴾ **[التوبة 126]**

طلب الهداية من الله:

فإذا كان النور يهدي إلى الله فلا تطلب الهداية إلا من الله **(يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ)** فكم من أناس حرموا هذا النور وأعطاك الله إياه؛ فهذا فضل محض من الله، كم من

أساتذة عندهم من العلم والمكانة والوجاهة، ولكنهم غاب عنهم نور الله فلم يتعرف على ربه.

وإذا كان الإنسان يشرف بقدر ما يعلم؛ فهل هناك أشرف من العلم بالله فهو أشرف معلوم، ومن أعجب الأمور أن الإنسان الغربي بلغ ما بلغ من العلم وعلى الرغم من ذلك تجده إنسان جاهل بالله الذي خلقه، فهذه مصيبة الحضارة المادية التي علقت الناس بالمادة وأنستهم الله الذي خلقهم.

قصة لقاء الدكتور عبد المجيد الزنداني بطبيب بريطاني:

يقول الدكتور عبد المجيد الزنداني في إحدى محاضراته: جرت مجادلة بيني وبين أحد علماء بريطانيا: البروفسور كروستوفر بالس، وهو طبيب من مشاهير علماء بريطانيا في الطب، فقلت له: هل وُجِدَت عينك لحكمة؟

قال: نعم .

قلت: وهل وُجِدَ أنفك لحكمة؟

قال: نعم .

وأخذت أعدد أعضاء الجسم .

فقال لي: هذه مواضيع أبحاث علمٍ يسمى علم وظائف الأعضاء لا يتخرج الطبيب من أي كلية في الطب إلا إذا درسه .

فقلت له: هل الحكمة من هذا العضو خاصة بالعضو نفسه، أم أنها من أجل الكل؟

أردت أن يعترف أن الحكمة من الأجزاء ليست من أجل الأجزاء نفسها وإنما من أجل الكل.

فقال: أرأيت لو جئت بالجهاز الهضمي وحده من دون الجسم أله قيمة؟

قلت: لا .

قال: كيف تقول: إن الأعضاء والأجهزة أحكمت من أجل نفسها ولم تحكم من أجل الكل؟

قلت له: أنا كنت أسأل وأنت قد أجبتني.

فما الحكمة من هذا الكل؟ (يقصد الإنسان)

فبهت وأطرق برهةً وأدرك أنه وقع في الفخ !!

وقال: هذه فلسفة !

قلت له: قبل قليل كان علماً (علم وظائف الأعضاء)!! لقد هربت، وكنت أعلم أنك ستهرب، وأنا أعلم لماذا ستهرب، ولكن قبل ذلك عندي سؤال.. أفي استعمال حذائك حكمة؟

قال: نعم لها فائدة: فهي تقيني الأذى، فهي تحمي قدمي من الاصطدام بالأجسام الثقيلة ومن الخدش بالأجسام الحادة، ومن التضرر بالسوائل الضارة، ومن تقلبات الجو، ومن اختراق بعض الكائنات وغير ذلك .

فقلت له: أ لوجودك حكمة؟

فبهت مرة ثانية !

فقلت له: والله أني لأعجب يا برفسور من حضارتكم التي تقول لكم: إن الإنسان أحقر من نعله!! فلاستعمال الحذاء حكمة، ولابسها لا حكمة من وجوده !!

أما لماذا لم تعرفوا الحكمة ولماذا هربت فذلك لأن الحكمة من خلقك لا تعرف إلا بتعليم من الخالق، وأنتم لا تعرفون الخالق، فكيف ستعرفون حكمة وجودكم؟! لذلك سيبقى الإنسان في نظركم أقل شأناً من الحذاء.

ولا طريق للتخلص من هذا إلا أن تعرف ربك لكي تعرف لماذا خلقك .

وقلت له: يا دكتور سأضرب لك مثالاً: لو أن لدينا جهازا إلكترونيا معقدا غاليا ونريد أن نعرف الحكمة منه فليس هناك إلا طريق واحد وهو أن نتصل بالذي صنعه؛ لأن الحكمة من هذا الجهاز مختفية في نفس الصانع .

فأضاف قائلاً: أو نتصل بمندوبه .

قلت: صدقت؛ فإذا أردت أن تعرف الحكمة من خلقك فليس لك إلا أن تتصل بمندوبي الذي خلقك، وهم رسل الله عليهم الصلاة والسلام .

وسيبقى الإنسان أحقر من حذائه ما لم يؤمن بالله ورسوله! لا يعرف الحكمة من وجوده، ولا يعرف ربه، ولا يعرف لماذا دخل إلى هذه الدنيا ولماذا يخرج منها !

تنظيف القلب من الذنوب والمعاصي كما تنظف زجاجة المصباح:

المعهود قديماً عند أمهاتنا اللواتي كن يستعملن المصابيح الزيتية أو التي كانت تضاء بالجاز، أن زجاجة المصباح يومياً تتسخ، يترسب عليها سواد، فتحتاج إلى أن تمسح وإلى أن تنظف، فكان من الورد اليومي للأمهات في الصباح أن تمسح زجاجة المصباح، تأتي بخرقة وتضع فيها بعض الماء القليل ثم تمسح بها زجاجة المصباح، كذلك قلب المؤمن يترسب عليه كل يوم سواد الذنوب، وآثار المعاصي

هذه الذنوب ترسب على القلب سواداً، كما يترسب على زجاجة المصباح السواد، فيحتاج القلب إلى غسيل كما تحتاج زجاجة المصباح إلى غسيل، حتى تشع الضوء الذي بداخلها كاملاً إلى الكوة، والكوة تشع الضوء بدورها إلى الغرفة.....

أما إذا كانت زجاجة المصباح سوداء معتمة فلا يخرج منها ضوء إلى المشكاة، ولا يخرج منها ضوء إلى الغرفة، كذلك الإيمان الذي في القلب، ومعرفة الله التي بداخله، يحتاج الإيمان إلى أن يخرج من القلب إلى الجسد؛ حتى يملأ الصدر والجسد نوراً، فإذا كان العبد مذنباً فالأمر **كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم:**

(إذا أذنب العبد ذنباً نكتت على قلبه نكتة سوداء، فإن تاب وأقلع محيت، وإن عاد وأصر نكتت نكتة أخرى حتى يغطى القلب كله، ثم تلا: (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [المطففين:14]، فقال: هذا هو الران الذي ذكر الله في كتابه).

فالسواد على القلب يمنع الإيمان ونور الإيمان من الخروج من القلب إلى الصدر، فتجد الصدر مظلماً، كما أن المشكاة تكون مظلمة إذا كانت الزجاجة سوداء، فتجد اليد

تتحرك في ظلمة، والرجل تخطو في الظلمات، والعين تنظر في الظلمات، وهكذا يتحرك كبهيمة عمياء إذا كان القلب قد اسود من المعاصي.

اسمعوا ماذا قال رسول الله، وهذا رسول الله أطهر قلب عرفته هذه الدنيا هذا رسول الله سيد ولد آدم خاتم الانبياء والمرسلين ماذا يقول: **(إنه ليغان على قلبي، وإني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من مئة مرة)**

ما الفرق بين الغيم والغين؟

الغيم هو السحاب الثقيل الممطر، الغين هو سحاب الصيف الخفيف الذي ليس فيه أمطار الرسول يقول صلى الله عليه وسلم إنه قد يصيبه شيء من الغين يغان على قلبي أي انشغال بالسعي بالمعاش بالدنيا بالأولاد بالمشاكل الخاصة فالرسول يرى وهو صاحب القلب المشرق الذكي المنزل على قلبه الوحي من السماء إنه ليغان على قلبه ماذا تفعل يا رسول الله؟ يستغفر في اليوم أكثر من مئة مرة.

ولذلك لما تستغلق عليك الأمور أو لما تقبل عليك فتنة أو لما تشعر بأنك لم تمسك بالمصحف لأسبوع أو لم تعد تستشعر الخشوع في الصلاة ولم تعد تشعر بحلاوة الدعاء والمناجاة استغفر نظف القلب طهر القلب حاول أن ترجع إلى حالة الصفاء والنقاء الذي كنت عليه فيشرق قلبك مرة ثانية.

وهذا الذي يعرف بقسوة القلوب أو ظلمة القلوب والتي سببها تراكم المعاصي معصية وراء معصية حتى يموت القلب أو كما قال النبي **(يعلوه الران)** طبقه من الصدأ لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا.

فإذا استغفر الشخص فقد غسل قلبه، فيخرج نور الإيمان منه إلى الصدر ويمتد هذا النور إلى الجوارح، فتجد الرِجْل لا تخطو إلا في طاعة الله، والعين لا تنظر إلا إلى ما يحبه الله، واليد لا تبطش إلا فيما يرضي الله، واللسان لا يتكلم إلا بما يرضي الله.

أما إذا كان القلب مظلماً مغطىً بسواد المعصية التي لم تغسل بالتوبة، ولم تغسل بالاستغفار، ولم تغسل برد المظالم إلى أهلها؛ ففي هذا الوقت يظلم الصدر، فاليد لا تدري ماذا تصنع؟! هل تصنع خيراً أم شراً؟ كل الجوارح كذلك،

ومن تحلى بسكينة الإيمان ألقى الله في قلبه كراهية المعاصي والذنوب؛ فإن الإيمان حينما يعمر القلب يطرد منه التعلق بالمعاصي والآثام.

والمؤمن دومًا يرى المعصية قطعة من عذاب النار، يراها خزيًا في الدنيا وذلة، يراها كآبة وضيق صدر، يراها تبعده عن الله تعالى، بخلاف قليل الإيمان؛ فإنه يرى المعصية متعة ومكسبًا له.

فالطاعة تورث القلب نوراً وإشراقاً يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح كما أن المعاصي تورث ظلمة تظهر في الوجه والجوارح.

فإن للطاعة نوراً كما قال ابن عباس (إن للحسنة ضياءً في الوجه ونوراً في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق.

رأيتُ الذنوب تُميتُ القلوب * * * وقد يُورِثُ الذُلُّ إدمانُها

وتركُ الذنوبِ حياةُ القلوب * * * وخيرٌ لنفسكَ عِصيانُها

اللهم نور قلوبنا بطاعتك

اللهم نور قلوبنا بنور الوحي القرآن والسنة

اللهم آمين.

****

الخاطرة الخامسة

تفسير سورة الإخلاص

سبب التسمية:

سميت سورة الإخلاص لأنها تتحدث عن التوحيد الخالص للّه عز وجل، المنزه عن كل نقص، المبرأ من كل شرك، ولأنها تخلّص العبد من الشرك، أو من النار.

سبب نزولها:

عن أُبيّ بن كعب: أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: انْسُبْ لنا ربك؛ فأنزل الله عز وجل: {قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ}. رَواه الترمذي وحسنه الألباني

ما ورد في فضلها:

1- عن أبي سعيد الخُدْريّ:(أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ {قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ} يردّدها؛ فلما أصبح جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فذكر ذلك له، وكان الرجل يَتقالُّها؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثُلُثَ القُرْآن» صحيح البخاريّ

2- وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(احْشِدوا فإني سأقرأ عليكُم ثلثَ القُرْآن»، فحشدَ مَنْ حَشَدَ؛ ثم خرج نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فقرأ {قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ} ثم دخل، فقال بعضنا لبعض: إني أرى هذا خبراً جاءه من السماء، فذاك الذي أدخله. ثم خرج فقال: «إني قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن، أَلاَ إنّها تَعْدِل ثلثَ القرآن) رواه مسلم

والسر في أنها تعدَلَ ثلث القرآن: قال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم: وذلك لأن العلماء قسموا القرآن إلى: أحكام، وعقائد، وقصص وأخبار؛ وقد جمعت **{قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ}** أحَدَ الأثلاث، وهو العقائد.

ودل على هذا التأويل ما في صحيح مسلم، من حديث أبي الدرداء عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، قال:(إن الله جلّ وعز جزأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل {قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ} جزءاً من أجزاء القرآن) رواه مسلم

هل يترك قراءة القرآن اكتفاء بقراءة سورة الإخلاص ثلاث مرات؟

(ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الدين النصيحة) ثلاثا، فقيل: لمن يا رسول الله؟ قال: (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم).

والنصيحة لكتاب الله تعالى تكون بتلاوته ، وتدبر آياته ، والاتعاظ بمواعظه ، والوقوف عند حدوده ، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ولا شك أن الاكتفاء بقراءة سورة الإخلاص دون سائر كتاب الله لا يتفق مع النصيحة لكتاب الله، ولا يتأتى لمن يكتفي بذلك النصح لنفسه بما يحصل له من تلاوة كتاب الله من الأجر والمثوبة، وزيادة الإيمان، ومعرفة الأحكام من الحلال والحرام، والواجب والمسنون والمكروه، والتأدب بآداب القرآن، والتخلق بأخلاقه، وكفى بانتقاص العبد هذه الأمور زاجرا عن ترك تلاوة كتاب الله، والرسول صلى الله عليه وسلم مع علمه بفضل هذه السورة ، وإخباره بأنها تعدل ثلث القرآن ، وزيادة حرصه على عظم الأجر والثواب، لم يقتصر على تلاوة هذه السورة، بل كان يداوم على تلاوة سائر كتاب الله، وقد قال الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) الأحزاب/21 .[3]

3- وعن عائشة:(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً على سَرِية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بـ {قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ}؛ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: «سَلُوهُ لأيّ شَيء يصْنع ذلك؟» فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحِبُّ أن أقرأ بها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أخبروه أن الله عز وجل يحبه» صحيح البخاريّ

4- وعن أنس بن مالك قال: كان رجل من الأنصار يؤمّهم في مسجد قُباء، وكان كلما افتتح سورة يقرؤها لهم في الصلاة فقرأ بها، افتتح بـ { قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ }؛ حتى يفرغ منها، ثم يقرأ بسورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة؛ فكلمه

(3) من فتاوى اللجنة الدائمة (4/29-30)

أصحابه، فقالوا: إنك تقرأ بهذه السورة، ثم لا ترى أنها تَجْزيك حتى تقرأَ بسُورة أخرى، فإما أن تقرأ بها، وإما أن تدعها وتقرأ بسورة أخرى؟ قال: ما أنا بتاركها وإن أحببتم أن أؤمّكم بها فعلت، وإن كرهتم تركتكم؛ وكانوا يرونه أفضلهم، وكرهوا أن يؤمّهم غيره؛ فلما أتاهم النبيّ صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر، فقال: «يا فلان ما يمنعك مما يأمر به أصحابك؟ وما يحملك أن تقرأ هذه السورة في كل ركعة»؟ فقال: يا رسول الله، إني أحبها؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ حُبَّها أدْخَلَكَ الجَنَّة» رواه الترمذيّ وصححه الألباني

5- وعنه أيضا قال: أقبلت مع النبيّ صلى الله عليه وسلم فسمع رجلاً يقرأ {قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ}؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وجبت». قلت: وما وجبت؟ قال: «الجنة» رواه الترمذيّ وصححه الألباني

6- وعن معاذ بن أنس الجهني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من قرأ {قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ} عشر مرات بُنِي له قصر في الجنة (فقال عمر: إذاً نستكثر يا رسول الله! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أكثر وأطيب). قوله: (إذاً نستكثر) يعني: إذاً نقروها كثيراً. قوله: (الله أكثر وأطيب) أي: الله أكثر أجراً وثواباً من عملكم. صححه الألباني

7- والدعاء بها مستجاب، لما رواه النسائي عن مِحْجَن بن الأدرع رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد، إذا رجلٌ قد قضى صلاته وهو يتشهد، فقال: اللهم إني أسألك يا الله! بأنك الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قد غفر الله له). ثلاثا.
وعن بريدة: (أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فإذا رجل يصلي ويدعو، يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، فسمعه الرسول عليه الصلاة والسلام فقال: والذي نفسي بيده! لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سُئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب). صححه الألباني

وأيضاً كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في:

- **ركعتي المغرب في الركعة الثانية.**
- **وركعتي الفجر النافلة في الركعة الثانية.**
- **وركعتي الطواف في الركعة الثانية.**
- **والركعة الأخيرة من ركعات الوتر.**
- **وكان عليه الصلاة والسلام يقرأ بها مع المعوذات إذا اشتكى، فإذا اشتكى نفث في يديه بـقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ [الإخلاص:1] والمعوذات ومسح بها رأسه وسائر جسده.**
- **وكان يقرأ بها أيضاً مع المعوذات عند النوم.**
- **وكان يقرأ بها مع المعوذات صباحاً ومساء.**

ولنا أن نتخيل كم مرة كان الرسول يقرأ بها في يومه؟! كان يقرأ كل ليلة عند النوم مع المعوذات (ثلاث مرات) ويقرأ بها بعد كل صلاة (فهذه خمس).

ويقرأ بها أيضاً في الصباح والمساء (ثلاثاً ثلاثاً).

ويقرأ بها في ركعتي الفجر، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتي الفجر يومياً، ولم يتركها في سَفَر ولا في حَضَر، ويقرأ بها في ركعتي المغرب.

فهذه ست عشرة مرة.

أضف إلى ذلك: إذا اشتكى صلى الله عليه وسلم.

تفسير الآيات:

(قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ) اسم الله **"الواحد"** معناه: هو الذي لا يتعدد ولذلك فإن الله واحد لا شريك له.

واسم الله **"الأحد"** هو الذي لا يتجزأ، فليس جزءا من غيره فهو غير مولود، وليس له جزء منه فليس له ولد **(لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ)**، كما زعمت النصارى الذين يدعون أنهم يعبدون إلهاً واحداً في ثالوث وثالوثاً في واحد (الأب والابن والروح القدس) تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

(اللَّهُ ٱلصَّمَدُ) وردت عدة أقوال في معنى الصمد:

1-هو السيد الذي قد كمل في سؤدده، وهو الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم، فهو المستغنِي عن كل أحد، والمحتاج إليه كل أحد.

2- المصمت أو المصمد الذي لا جوف له، يعني لا يأكل، ولا يشرب.

3- الصَّمَدُ الذي لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله عز وجل لا يموت ولا يورث.

ومن العلماء مَن قال: **(الصمد)** يحمل هذه المعاني كلها: ·فهو سبحانه السيد الذي انتهت إليه السيادة في كل شيء، وهو سبحانه الصمد الذي يصمد إليه الخلق لقضاء حوائجهم، وهو سبحانه الذي **(لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ)**

(لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) أي: ليس له ولد، ولا والد، ولا صاحبة، والتوالد أمارة الفناء لأن التوالد من أجل بقاء الجنس والله سبحانه باق فلا ولد له ولا والد، وقال ابن عباس: **{لَمْ يَلِدْ}** كما وَلَدَتْ مَرْيَم، **(ولم يُولد)** كما وُلِدَ عيسى وعُزَيرٌ.

وهذه الآية خير رد على النصارى الذين يقولون: إن عيسى هو الله، وهذا من العجب!

يقولون: إن عيسى هو الله وقد ولدته مريم! فأين كان الله قبل أن تُخلق مريم؟ إذا قالوا: إن عيسى هو الله! وقبل أن يولد من الذي كان يدبر أمر السماء والأرض؟!

وهل بطن امرأة يسع إلهاً يحكم السماوات والأرض؟! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً!

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(قال الله عز وجل: كذبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني، ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي، فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون على من إعادته، وأما شتمه إياي، فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحد) وفي صحيح البخاري:(لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يجعلون له ولداً، وهو يرزقهم ويعافيهم)

وقفة مع آخر سورة الإسراء:

قال تعالى: (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا) [سورة الإسراء :111]

ما المحمود عليه في الآية؟ (4)

الحق سبحانه يأمرنا أن نحمده على عدة أمور أولها:

حمده لأنه سبحانه لم يتخذ ولداً؛ وهذه نعمة كبيرة على العباد يجب أنْ يحمدوه عليها، فإنْ كان له ولد فسوف يخصُّه برعايته دون باقي الخَلْق، فقد تنزّه سبحانه عن الولد، وجعل الخَلْق جميعهم عياله، وكلُّهم عنده سواء، فليس من بينهم مَنْ هو ابن لله أو مَنْ بينه وبين الله قرابة، وأحبّهم إليه تعالى أتقاهم له، وهكذا ينفرد الخَلْق بكل حنان ربهم وبكل رحمته.

ثم، ما الحكمة من اتخاذ الولد؟

الناس يتخذون الولد ويحرصون على الذَّكَر، خاصة لأمرين: أن يكون الولد ذكرى وامتداداً لأبيه بعد موته، كما والحق سبحانه وتعالى باقٍ دائمٌ، فلا يحتاج لمَنْ يُخلِّد ذكراه، أو يكون امتداداً له، تعالى الله عن ذلك عُلواً كبيراً، فالحمد لله أنه لم يتخذ ولداً.

أو يكون الولد للعِزْوة والمكاثرة والتقوّى به من ضعف، والحق سبحانه وتعالى هو الغالب القهار، فلا يحتاج إلى عِزْوة أو كثرة، لذلك يأمرنا سبحانه أن نُمجِّده لأنه لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، والمتأمل في حال الملوك والسلاطين يجد أكثر فسادهم إما من الولد وإما من الصاحبة.

قوله تعالى: (وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ) كُفُواً أي مكافئا ومماثلا، والكفء والمكافئ: النظير والمثيل، والمراد أنه لم يوجد له مماثل أو مكافئ.

وقال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ) [الشورى: 11]

(4) الجواب مستفاد من خواطر الشيخ الشعراوي رحمه الله في تفسير آخر سورة الإسراء.

الخاطرة السادسة

حديث (كان الله ولم يكن شيء غيره)

روى الإمام البخاري في صحيحه عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض.)

(كان الله ولم يكن شيء غيره)

إذا أردنا أن نقول من هو الأول الذي لا شيء قبله؟

الجواب: الله عز وجل.

فالله هو الأول فلا موجد له، وكل المخلوقات نشأت بقوله **(كن)** فكانت كما أمر الله وكما أراد الله، قال تعالى: **(هو الأول والآخر والظاهر والباطن) [الحديد، الآية 3].**

اسم الله (الأول):

أي: الذي ليس قبله شيء، فكلّ ما سواه حادث مخلوق.
واسم الله الأوّل دالٌّ على سَبْقِ الله تعالى في الفضل والإيجاد والإمداد، فهو سبحانه الذي خلق وأوجد وأعطى ورزق، وهو الذي هيأ الأسباب وسخّر الوسائل لمعايش الخلق، فالفضل كله له أولاً وآخراً، فمن عرف سَبْق الله وفضله لجأ إليه في كافة أمره، وأقرّ بفقره وحاجته إلى ربه.

والله جل وعلا هو الأول فهو المستغني في وجوده عن كل شيء فيفتقر إليه كل شيء، فلا يحتاج لمن يمده بالحياة والراحة ولا النوم ولا الاكل ولا الشرب ولا الصحة، فهو جل جلاله **(الأول)** الذي يفتقر كل شيء في وجوده الى الله، وهو الآخر الذي سيأتي يوم ولا يبقى أحد في هذا العالم كله غيره سبحانه وتعالى.

السؤال المتكرر من خلق الله؟

ومع إيماننا باسم الله الأول وأنه جل جلاله الأول قبل كل شيء؛ يأتي السؤال المتكرر كثيرا خاصة على لسان أبنائنا من خلق الله؟ والجواب سهل يسير:

أولا هذا السؤال: (من خلق الخالق؟) سؤال خطأ؛ لأنه يخالف العقل القويم، وذلك لأن العقل السليم والتفكير الصحيح يقتضي أنه إذا كان الكون مخلوقا، فلا بد من وجود خالق غير مخلوق، كما أنه سؤال خطأ؛ لأنه لا بد عقلا من سبب أول، فعندما تقول: من خالق السبب الأول؟ فإنه لم يعد أولا، بل أصبح سببا ثانيا، وقانون السببية هنا يطبق على الأمور الحادثة فقط، والله تعالى بما أنه السبب الأول، فليس حادثا حتى يكون له محدث، بل هو خارج عن إطار المادة التي خلقها وغير محكوم بقوانينها.

مثلا إذا دخلت غرفتك، ورأيت سريرك قد تغير مكانه، فإنك تقول: من غير مكان السرير؟ لأن تغير مكانه أمر حادث، بينما إذا دخلت غرفتك، ولم ترَ مكان السرير تغير، فإنك لا تسأل من أبقى السرير مكانه؟ لأن بقاءه مكانه ليس أمرا حادثا حتى يكون له محدث، كما إذا رأيت دمية تحرك بخيوط، وعلمت أن هناك من خلف الستار إنسانا يحركها، فهل من المقبول أن تسأل: ومن يحرك خيوط هذا الإنسان الذي يحرك الدمية؟ هذا وإذا رأيت رغيف خبز، وعلمت أنه لا بد للخبز من خباز، فهل تسأل: ومن خبز الخباز؟ لا طبعا، بل هو سؤال مضحك وخاطئ، لماذا؟ لأنه طبّق تعميما في غير مكانه، وكذلك فالخلق صفة ملازمة للمخلوقين، ولا تعمم على الخالق (الله تعالى).

لو أننا فرضنا – جدلا – أن هناك خالقاً لله تعالى (حاشاه جل في علاه) فسيقول السائل: من خلق خالق الخالق؟!

ثم من خلق خالق خالق الخالق؟؟!... وهكذا يتسلسل إلى ما لا نهاية، وهذا محال في العقول، فلا بد من أولية، فالمخلوقات كلها تنتهي إلى خالقٍ واحد خلق كل شيء، ولم يخلقه أحد، بل هو الخالق لما سواه وهذا هو الموافق للعقل والمنطق.

فالخالق ليس له خالق؛ لأنه لو كان له خالق، لكان مخلوقا لا خالقا، وهذا السؤال ليس محرجا ولا خافت الشريعة من أن يخطر ببال الناس، بل أخبر النبي صلى الله عليه وسلم سلفا بأنه سيسأل، وأرشدنا إلى التعامل معه، كما في الحديث الذي رواه مسلم **عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا يزال الناس يتساءلون**

حتى يقال هذا خلق اللهُ الخلقَ، فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله) وزاد في رواية أخرى: (فليقل آمنت بالله ورسله) رواه الإمام مسلم

وفي البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول: من خلق ربك؟ إذا بلغه فليستعذ بالله ولينته)

ففي هذه الأحاديث: بيان مصدر هذا السؤال، وهو: الشيطان، وبيان علاجه ورده، وهو:

1- أن ينتهي عن الانسياق وراء الخطرات وتلبيس الشيطان، فقوله :(**ولينته)** تعني ينتهي عن الاسترسال والاستمرار مع هذه السلسلة من التساؤلات بعد هذا الحد، وهل هذا حجر على العقل وتعطيل للعقل؟ كلا، بل هو الموقف العقلي الصحيح، لماذا؟ لأن هذا السؤال (من خلق ربك؟) هو سؤال يخالف البديهيات العقلية، والبديهيات العقلية هي التي ينطلق منها الإنسان في الاستدلال، لا أنه يطلب لها أدلة عليها حتى يستمر في سلسلة البراهين والتعليلات.
2- إذا كان هذا السؤال يهجم عليك، وأنت تعلم أنه غير صحيح، فهو وسواس ما الحل في هذه الحالة؟ الحل هو أن تستعيذ بالله تعالى من الشيطان الذي يوسوس لك، وتنتهي عن التفكير في الشكوك التي يثيرها، لأنه يخالف ضرورات العقل ومنطقه الأصيل المبني عليه.
3- أن تقول: (آمنتُ بالله ورسله).
4- **ومما ورد أيضا ما رواه أبو داود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يزالُ النَّاسُ يَتساءَلون حتى يُقال: هذا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ، فمَن خلَقَ اللهَ؟ فمَن وجَدَ من ذلك شيئًا، فلْيَقُلْ: آمَنتُ بالله، قال: فإذا قالوا ذلك، فقُولوا: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} (الإخلاص:4:1) ثُمَّ لْيَتْفُلْ عن يَسارِه ثلاثًا، ولْيَستَعِذْ من الشَّيطان).**

كيف نجيب الملحد؟

سؤال (من خلق الله؟) يسأله الملحدون أيضا، اعتراضا على إيماننا بالله تعالى، لأنهم لا يتقبلون فكرة أن يكون الله تعالى أزليا بلا بداية، والجواب للملحد الذي يعترض عليك بهذا الاعتراض، قل له: هل تؤمن بأن الكون له بداية؟

فإن قال: نعم، قل له: فلا بد لهذا الكون الحادث من محدث بالبديهة العقلية الواضحة، وإن قال: لا، بل هو أزلي، فقل له: تعترض على أزلية الله تعالى، وتقول بأزلية الكون؟! بحيث هو هنا لا يعترض على مبدأ الأزلية بحد ذاته، لكنه يعترض على أزلية خالق أوجد الكون بعلم، وإرادة، وحكمة وقدرة تظهر آثارها في كل شيء، ويقول بأزلية كون (مخلوق)، هكذا بلا موجد.

اسم الله (الآخر):

أي: هو الآخر بعد فناء كل شيء.

كل العالم كل السماوات والأرض كل الانس والجن والملائكة والطير وكل المخلوقات سيأتي عليها يوم وتفنى جميعا، **كما قال تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ) [الرحمن26،27] وقال: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [القصص: من الآية88].**

فيأتي يوم يأذن الله تعالى فيه بفناء كل شيء وهلاك كل شيء فلا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام، والمقصود بدوامه وبقائه أنّه باقٍ بذاته سبحانه وتعالى، فهو الآخِر الباقي بعد فناء الخلق، فالله تعالى لا ابتداء لوجوده، ولا نهاية لوجوده.

قال ابن القيم رحمه الله: فأوليَّة الله عز وجل سابقة على أوليَّةِ كل ما سواه، وآخريَّتُه ثابتةٌ بعد آخريَّة كل ما سواه، فأوليَّتُه سَبْقُه لكل شيء، وآخريَّتُه بقاؤه بعد كل شيء". الذي بدأ خلقك باسم **(الأول)** قادر إلى ردك إليه باسم **(الآخِر)**؛ **قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 104]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: 79]**؛ بل إعادة النشأة عليه

أهون مِن النشأة الأولى؛ قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ**﴾ **[الروم: 27].**

قال الله تعالى في كتابه الكريم: (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ * يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) غافر/15-17.

قوله: (وكان عرشه على الماء)

أي المخلوقات خلقها الله أولاً؟

اختلف العلماء في هذه المسألة على عدة أقوال، منها:

1- أن القلم أول المخلوقات، وهو اختيار ابن جرير الطبري، وابن الجوزي.

واستدلوا بحديث عبادة بن الصامت، قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: **(إن أولَ ما خلق اللهُ القلم، فقال له: اكتبْ، قال: ربِّ، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة)** رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

2- أن الماء أول المخلوقات: واستدلوا بحديث عن أبي رزين العقيلي أنه قال: يا رسول الله، أين كان ربنا – عز وجل – قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ قال: **(في عماء، ما فوقه هواء، وما تحته هواء، ثم خلق عرشه على الماء)** رواه الترمذي وضعفه الألباني في ظلال الجنة.

3- أن أول المخلوقات النور والظلمة؛ ذكره ابن جرير، وعزاه إلى ابن إسحاق.

4- أن العرش أول المخلوقات، وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن كثير وشارح الطحاوية، وقال ابن حجر نقلاً عن أبي العلاء الهمداني: إنه قول الجمهور، ومال إليه ابن حجر، وهو الراجح، والله أعلم.

واستدلوا بحديث عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – مرفوعًا: **(كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء)** رواه مسلم

وحديث عمران بن حصين – رضي الله عنه – مرفوعًا: (كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض) رواه البخاري

وأجابوا عن حديث أبي رزين بأنه غير صحيح، وأجابوا عن حديث عبادة بن الصامت بأن الأولية إنما هي راجعة إلى الكتابة لا إلى الخلق، فيكون المعنى أنه عند أولِ خلقه قال له: اكتب.

قوله: (وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض)

وكلمة **(الذكر)** هنا من أسماء اللوح المحفوظ، واللوح المحفوظ كتاب عند الله عز وجل، كتب الله فيه مقادير الخلائق جميعًا قبل أن يخلق السماوات والأرض، كما ورد في أحاديث كثيرة.

وهذا الكتاب، رب العالمين سماه بعدة أسماء:

- **الذكر، قال تعالى: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) [الأنبياء، الآية 105]**
- **إمام مبين، قال تعالى: (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) [يس، الآية 12]،**
- **اللوح المحفوظ، قال تعالى: (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) [البروج:21،22]**
- **الكتاب المكنون، قال تعالى: (إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون) [الواقعة، الآيتان 77-78]**
- **الكتاب، قال تعالى: (ما فرطنا في الكتاب من شيء) [الأنعام، الآية 38]**

و (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب) [الحج:70]

وقال تعالى: (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) [الحديد: 22]

كل هذه أسماء لمسمى واحد، وهو الكتاب الذي عند الله سبحانه وتعالى، الذي كتب فيه كل شيء قبل أن يخلق الله السماوات والأرض.

ولما سأل فرعون نبي الله موسى: **(قال: فما بال القرون الأولى قال: علمها عند ربي في كتاب) [طه، الآيتان 51-52]**

وكتابة الله تعالى لهذه الأمور ليس لأنه ينسى، إنما لإقامة الحجة على عباده، وإظهار أسمائه وصفاته. قال: **(لا يضل ربي ولا ينسى) .[طه، الآية 52]**

فرب العالمين لا يكتب ضلالاً ولا نسيانًا **(وما كان ربك نسيا) [مريم، الآية 64]**

****

الخاطرة السابعة

عرش الرحمن جل جلاله

ما هو العرش؟

العرش في اللغة له أكثر من معنى؛ منها:

1- سرير الملك :يدلُّك على ذلك سرير مَلِكة سبأ سماه الله – جل وعلا – عرشًا، فقال :﴿**وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**﴾ **[النمل: 23].**

2- سقف البيت :العرش من البيت سقفه.

3- ركن الشيء :وبه فسر قولُه **:﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: 259]** ؛ أي: على أركانها.

4- الملك :والعرش: الملك، يقال: زال عرشُه؛ أي: زال ملكُه وعزُّه.

ومن المعلوم أن معرفة كل معنى من هذه المعاني، إنما يتحدَّد بحسب ما أُضِيف إلى الكلمة.

والمعنى المقصود في عرش الرحمن من تلك المعاني السابقة، هو سرير الملك؛ ذلك لأن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية قد جاءت معيِّنة لهذا المعنى وحدَه دون غيره من المعاني.

ما معنى عرش الرحمن؟

والمراد بعرش الرحمن كرسي عظيم وهو أعظم المخلوقات، له قوائم، وله حملة من الملائكة يحملونه، والله فوق العرش، كما قال **:(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [طه:5]، وقال سبحانه :(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السماوات وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) [الأعراف:54]**

فهو كرسي عظيم ومخلوق عظيم لا يعلم مدى عظمه وسعته إلا الذي خلقه، وهو كالقبة على العالم، وهو سقف العالم كله، وهو سقف الجنة أيضًا، وليس فوقه شيء سوى الله.

قال الطبري في قوله -تعالى :-﴿**وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ**﴾ [الزمر: 75]؛ يعني بالعرش: السرير.

وقال ابن كثير: هو سريرٌ ذو قوائم، تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات.

وقال أيضًا: والعرش في اللغة: عبارة عن السرير الذي للملك، كما قال -تعالى- :﴿**وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**﴾ **[النمل: 23]** فكراسي الملوك يقال لها: عروش، لكن عرش الله لا يشابهه شيء من عروش المخلوقين.

أوصاف العرش:

للعرش أوصاف كثيرة وصفه بها ربُّنا في كتابه، وكذا النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومن هذه الأوصاف:

- وصفه: بأنه مجيد؛ كما في قول الله -تعالى :-(**ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ] (البروج: 15]** بجرّ لفظ: (المجيدِ)، وهي قراءة حمزة والكسائي، وأما على رفع **(المجيدُ)** وهي قراءة حفص التي نقرأ بها فيكون ذلك وصفا لله -تعالى- وليس للعرش، وَوصْفُ العرش بأنه مجيد، يعني أنه متسع عظيم القدر.
- ووصف الله العرش أيضا بأنه عظيم، فقال تعالى :(**فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) [التوبة: 129].**
- ووصفه بأنه كريم في قوله :(**فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) [المؤمنون: 116]**
- ووصف النبي -صلى الله عليه وسلم- العرش بأن له قوائمَ؛ كما في البخاري من حديث أبي سعيد قال صلى الله عليه وسلم :(**الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور).**

وقد بين الرسول -صلى الله عليه وسلم- عظمة العرش بذكر أمرين اثنين:

الأول: بإخباره عن عظم الملائكة الذين يحملون العرش، فإن العرش يحمله ثمانية من الملائكة أو ثمانية صفوف من الملائكة؛ كما في قول الله -تعالى **:-(وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) [الحاقة: 17]**

وأيّاً كان المعنى فاستمع إلى وصفِ واحدٍ من ملائكة العرش لتعلم وتدرك عظمة الخالق -جل في علاه-:

في سنن أبي داود وصححه الألباني عن جابر -رضي الله عنه- قال رسول -صلى الله عليه وسلم :-(أُذن لي أن أحدّث عن ملك من ملائكة الله، من حملة العرش: ما بين شحمة أذنِهِ إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام)، وفي رواية: أنه يقول: (وعنقه مثنية تحت العرش إجلالا وانكسارا لربه :سبحانك ما أعظمك ربَّنا!).

وأما الأمر الثاني الذي يدل على عظمة العرش فهو المقارنة التي ذكرها النبي -صلى الله عليه وسلم- بين السماوات والكرسي والعرش، قال صلى الله عليه وسلم :**(ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي، كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة)**

ونؤمن بأنه عرشٌ على الحقيقة، وأن الله قد استوى عليه استواء يليق بجلاله وعظمته؛ كما قال جل شأنه: **(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى * وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى([طه: 5 – 8]**

هذا الذي عليه أهل السنة والجماعة من سلف هذا الأمة الأبرار، فلا نكيّف الاستواء ولا نحرفه عن معناه، ولا نؤوله على غير ظاهره.

ولما دخل رجل على الإمام مالك فسأله عن قول الله -تعالى: **(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [طه: 5]** كيف استوى على عرشه؟!

أطرق مالك تعظيما لله، واستعظاما لهذا السؤال، وأخذته الرحضاء وفي يده عودٌ ينكت به في الأرض، وهدأ المجلس سكينة وهيبة للإمام مالك، وانتظر جلساؤه ما سيقضي فيه، حتى سرّي عن الإمام مالك، ثم رفع رأسه فقال :(الاستواء غير

مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ولا أراك إلا رجل سوء، ثم أمر به فأخرج من مجلسه!

وهذا من فقه الإمام -رحمه الله-؛ إذ كيف للعقل البشري القاصر أن يدرك كيفية استواء الخالق أو أن يحيط بها علما؟! سبحانه **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) [الشورى: 11].**

مكان العرش:

قبل خلق السماوات والأرض كان العرش على الماء، **قال -تعالى :-﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السماوات وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾** [هود: 7]، وكما في حديث عمران بن حصين المتقدِّم.

أما بعد خلق السماوات والأرض، فالجواب عليه له جانبانِ:

الأول :مكانه بالنسبة إلى الله مع غيره من المخلوقات، فالعرش أقرب المخلوقات إلى الذات الإلهية؛ لأنه – سبحانه – مستوٍ على أعلى مخلوقاته، وأقربِه إليه، وهذه مزية امتاز بها العرش على ما سواه من المخلوقات.

الثاني :مكانه بالنسبة إلى المخلوقات، فهو أعلى المخلوقات وأرفعها، وكل المخلوقات دونه، وهو سقف الجنة؛ كما جاء في الحديث: **(فإذا سألتُم الله، فاسألوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة)** رواه البخاري

مما تقدَّم يُعلَم أن للعرش مزيةً وخصائصَ اختصَّها الله – عز وجل – به على غيرِه من المخلوقات، فمِن هذه الخصائص:

1- الاستواء عليه: وهي أعظم ميزة وفضيلة، بل ما سواها من الخصائص والميزات جعلتْ من أجلِ أن الله مستوٍ عليه، ومن المعلوم أن الله مستوٍ على عرشه، بلا تكييف نعلمه، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تعطيل.
2- أن العرش أعلى المخلوقات وأرفعها وسقفها، وقد تقدَّم طرفًا من هذا أثناء الكلام على مكان العرش، وهذا ما ذهب إليه سلفُنا – عليهم رحمة الله–

3- العرش أكبر المخلوقات وأعظمها وأثقلها، قال -تعالى :-﴿**رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ [التوبة: 129]، فالله – عز وجل – وصفه بأنه عظيمٌ في خلقه وسَعَته؛ وذلك ليتناسبَ مع ذلك الشرف العظيم، وهو استواء الله عليه.

4- العرش ليس داخلاً فيما يقبض ويطوى يوم القيامة، معلوم أن السماوات والأرض تُطوَى يوم القيامة، قال -تعالى :-﴿**يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾]**الأنبياء: 104.**[

فقد اتَّفَق السلف وسائر أهل السنة والجماعة أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى؛ مثل: الجنة، والنار، والعرش، قال -تعالى :-﴿**وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**﴾ **[الحاقة: 14 – 17].**

يقول شيخ الإسلام: وأما العرش، فلم يكن داخلاً فيما خلقه في الأيام الستة، ولا يشقه، ولا يفطره، بل الأحاديث المشهورة دلَّت على ما دلَّ عليه القرآن من بقاء العرش.

وصف حملة العرش:

أخبر ربُّنا – عز وجل – في كتابِه أن حملة العرش يوم القيامة ثمانية، ولكن اختلف في هؤلاء الثمانية، هل هم أملاك، أم أصناف، أم صفوف؟ وهل هم اليوم ثمانية، أم أقل؟

على أقوال لأهل العلم:

1- أن المراد ثمانية صفوف من الملائكة، وهو مروي عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، والشعبي، وعكرمة، والضحَّاك، وابن جرير.
2- أن المراد ثمانية أجزاء من تسعة أجزاء من الملائكة، وهو مرويٌّ عن ابن عباس، ومقاتل، والكلبي.
3- أن المراد ثمانية ملائكة، وهو مروي عن الربيع بن أنس.
4- أنهم اليوم أربعة، وهم يوم القيامة ثمانية، وهذا القول رجَّحه ابن كثير، وابن الجوزي، وقال: هو قول الجمهور، واستدلوا بحديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (يحملُه اليوم أربعة، ويوم

القيامة ثمانية) رواه الطبري في التفسير، والبيهقي في البعث، وضعَّفه البيهقي، وابن حجر في الفتح.

قلت: لم أقفْ على قول فصلٍ في هذه المسألة، والعلم عند الله – تعالى.

هل العرش هو الكرسي؟

الكرسي ليس هو العرش على الصحيح، بل الكرسي موضع قدمي الله -عز وجل-؛ كما ذكر ذلك ابن عباس، ومن جعلهما شيئا واحدا فقد جانب الصواب، يدل على ذلك ما ورد عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال **:(بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم!)** رواه ابن خزيمة والبيهقي وصححه الذهبي وابن القيم.

قال الشيخ ابن عثيمين عن أثَر ابن مسعود السابق :هذا الحديث موقوف على ابن مسعود، لكنه من الأشياء التي لا مجال للرأي فيها، فيكون لها حكم الرفع؛ لأن ابن مسعود لم يُعرف بالأخذ من الإسرائيليات.

حول العرش مخلوقات أخرى جاء ذكرها في عدد من الأحاديث الصحاح، فمن ذلك:

1- سجود الشمس لله تحت عرشه: ذكر البخاري في صحيحه عن أبي ذر قال: **قال النبي -صلي الله عليه وسلم- لأبي ذر حين غربت الشمس :(تدري أين تذهب؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال :فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى : (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) (يس: 38.)**

2- **أرواح الشهداء: في سنن ابن ماجة وصححه الألباني عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال في تفسير قوله تعالى :(وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا، بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) [آل عمران: 169]**

قال: أما إنا سألنا عن ذلك، فقال: أرواحهم كطير خضر تسرح في الجنة في أيها شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش، فبينما هم كذلك إذ اطّلع عليهم ربك إطلاعة، فيقول: سلوني ما شئتم؟ قالوا: ربنا ماذا نسألك ونحن نسرح في الجنة في أيها شئنا؟! فلما رأوا أنهم لا يتركون مِنْ أَنْ يُسألوا، قالوا: نسألك أن ترد أرواحنا في أجسادنا إلى الدنيا حتى نقتل في سبيلك! فلما رأى أنهم لا يَسألون إلا ذلك ترُكوا).

3- ومما جاء في أخبار العرش، هذا المخلوق العظيم الذي فاق خلقُه خلق السماوات والأرض: أنه قد اهتز احتفاء بأحد أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين عرجت روحه إلى السماء، ألا وهو الصحابي الجليل سعد بن معاذ -رضي الله عنه وأرضاه-، فقد ثبت عن جابر -رضي الله عنه- قال: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول :**(اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ) متفق عليه**

وعن ابن عمر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم **:-(لقد هبط يوم مات سعدُ بن معاذ سبعون ألف ملك إلى الأرض لم يهبطوا قبل ذلك) !**كلهم نزلوا يشيعون جنازته ويشهدونها رضي الله تعالى عنه وأرضاه. رواه الحافظ البزار وجود إسناده ابن كثير والألباني

قال الحافظ بن حجر في الفتح: والمراد باهتزاز العرش استبشاره وسروره بقدوم روحه، يقال لكل من فرح بقدوم قادم عليه اهتز له، ... ووقع ذلك من حديث ابن عمر عند الحاكم بلفظ: اهتز العرش فرحاً به. ... وقيل المراد باهتزاز العرش اهتزاز حملة العرش، ويؤيده حديث: أن جبريل قال: من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء، واستبشر به أهلها. أخرجه الحاكم. وقيل هي علامة نصبها الله لموت من يموت من أوليائه ليشعر ملائكته بفضله.

4- ومما هو مدّخر فوق العرش كتابٌ كتبه الله قبل أن يخلق الخلق، ففي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

(إن الله -تعالى- كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش.)

وللعرش كنوز عظيمة يغفل عنها أكثر الناس؛ فمن تلك الكنوز:

1- خواتيم سورة البقرة :(آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ] (البقرة: 285] إلى نهاية السورة، في صحيح الجامع عن أبي ذر -رضي الله عنه- قال صلى الله عليه وسلم :(أعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطها نبي قبلي.)

2- قول: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، عن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: (أمرني خليلي -صلى الله عليه وسلم- بسبع: أمرني بحب المساكين، والدنو منهم، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني، ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت، وأمرني ألا أسأل أحدا شيئا، وأمرني أن أقول بالحق وإن كان مرا، وأمرني ألا أخاف في الله لومة لائم، وأمرني أن أكثر من قول :(لا حول ولا قوة إلا بالله)، فإنهن من كنز تحت العرش). مسند الإمام أحمد وصححه الألباني

3- ومن الكنوز والشهود للعبد يوم القيامة التسبيح والتحميد والتهليل: عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :-(إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ التَّسْبِيحَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّحْمِيدَ يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا، أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَوْ لا يَزَالَ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ؟ !أخرجه ابن ماجة وصححه الألباني.

****

الخاطرة الثامنة

وصف ملك من حملة العرش

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أُذِنَ لي أن أتكلم عن ملكٍ من حملة العرش، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام). رواه الإمام أبو داود في سننه، وصححه الشيخ الألباني

هذا الحديث، يبيّن لنا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم آيةً من آيات الله في مخلوقٍ من مخلوقاته.

هذا الملك من حملة العرش، لم يصف لنا النبي صلى الله عليه وسلم جميع هيئته أو طوله أو عرضه، بل وصف لنا جزءًا يسيرًا من خلقته، وهو ما بين شحمة الأذن – وهي قطعة اللحم في نهاية الأذن – إلى العاتق، وهو الكتف؛ هذه المسافة، التي لا تتجاوز سنتيمترات عندي وعندك، هي مسيرة سبعمائة عام عند هذا الملك.

معنى مسيرة سبعمائة عام؟

أي كما يسافر المسافر إلى مكان؛ فمثلًا، لو ركبت السيارة من مونتريال إلى تورنتو، كم ساعة تأخذ؟ ست ساعات، سبع ساعات؟ هذا الملك، هذه المسافة عنده مسيرة سبعمائة عام، أي يقطعها الراكب في سبعمائة عام.

ماذا عن بقية خلقه؟ ماذا عن هيئته؟ ماذا عن عظمته؟ كيف يكون حجمه؟

أنت تتكلم عن ملك من خلق الله عز وجل!!! هذا الملك يحمل عرش الله عز وجل؛ فماذا عن عرش الله جل جلاله؟

هذا الملك وهذا العرش من مخلوقات الله سبحانه وتعالى؛ فماذا عن رب العزة جل في علاه؟

يعجز الإنسان عن إدراك ذاته، ويعجز العقل عن أن يعي مدى جلاله وعظمته.

فهو سبحانه وتعالى، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك)**

عِظَم هذه الخلقة دال على خالقها:

عظمة هذه الخلقة تدل على عظمة الله وجلاله، وتدل على مدى ضعف الإنسان وضآلة حجمه في هذا الكون، كما قال الله تعالى :**(وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا) [سورة النساء: 28].**

العرش أعظم المخلوقات:

العرش هو أعظم المخلوقات، أعظم من خلق السماوات والأرض وما فيها من مجرات وكواكب، وأفلاك، وشموس، وأقمار.

كل هذا لا شيء بالنسبة إلى عظمة الله وجلاله.

ومن أَدَلّ الدلائل على عظمته هذا العرش.

العرش هو كالقبة لهذا العالم، هو سقف هذا العالم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس الأعلى؛ فإنه أعلى الجنة ووسط الجنة، وأعلاه عرش الرحمن).

الرحمن على العرش استوى:

الإمام مالك، رحمه الله، لما سأله سائل عن قول الله تعالى: **(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (سورة طه: 5)**، قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

ما معنى الاستواء معلوم والكيف مجهول؟

كلمة العرش في اللغة العربية هو سرير الملك أو كرسي الملك، فالملك في القديم حينما كان يجلس على عرشه يعني على كرسي الملك، يقال إن هذا يوم توليه السلطة وتمكنه منها.

وربما إلى الآن من المناسبات في بعض الدول الملكية: عيد جلوس الملك على العرش، لأن هذه بالنسبة له مناسبة سعيدة، والشعب لابد أن يحتفل بها.

إذن، العرش هو سرير الملك أو كرسي الملك، وجلوس الملك على العرش إشارة إلى تمكنه من هذه المملكة وقدرته على تصريف الأمور وتدبيرها.

وعندنا الهدهد لما رأى ملكة سبأ قال: **(ولها عرش عظيم) (النمل: 23).** هذا بالنسبة للمعنى اللغوي حتى لا نتشتت.

طيب، بالنسبة لرب العزة ذي الجلال، الاستواء معلوم، يعني مفهوم ما هو الاستواء في اللغة.

لكن كيف استوى الله جل جلاله على عرشه؟

الكيف مجهول؛ فلا تُكلِّف عقلك ما لا يعيه ولا يدركه.

ولذلك قال العلماء: إن من أراد أن يدرك ذات الله وجلاله، فأنت كمن يُكلِّف نملة أن تحرك جبلاً!

نملة تحرك جبلاً؟!

أي نعم فكل البشر مجتمعين لا يستطيعون تحريك الجبل.

فهنا الكيف مجهول.

لماذا الكيف مجهول؟

لأنك لن تُحيط علماً بجلال الله وعظمته، وعقلك لا يعي ولا يدرك مدى هذا الجلال وهذه العظمة.

فهنا ندرك تماماً أن كل حاسة من حواس الإنسان لها مدى، ولها حدّ لا تتجاوزه.

فبصرك له حدود، وسمعك له حدود، وصوتك إذا رفعته له حدود.

أيضاً، عقلك له حدود؛ هذا الحد لا يستطيع الإنسان أن يدركه ولا يستطيع الإنسان أن يعلو عليه.

فهناك أمور من عظمة الله وجلاله لا نستطيع أن ندركها إلى حدّ معين.

لماذا؟

لأن العقل يدرك المحسوسات أو يدرك المعقولات إذا قارن بالمحسوسات.

يعني مثلاً: العرب لما تحب أن تضرب مثلاً بالعلم أو بالكرم يقولون: هذا فلان كالبحر؛ هذا اسمه تشبيه.

مثال: فلان كالبحر، البحر زاخر بالماء، فهذا من سعة علمه كالبحر أو من سعة كرمه كالبحر، ويقولون عن الشجاع: فلان كالأسد.

أنا إذا أردت أن أُقرب صفة من صفات الله إلى عباده، كيف أضرب بها المثل؟ هل أقول: إن كرم الله كالبحر؟

البحر من صنعته، البحر خلق من خلق الله عز وجل.

هل أضرب المثل باتساع السماوات والأرض؟

هذه أيضاً من خلقه، هذه من عظمته.

ولذلك هنا حينما تريد أن تبين هذا المعنى، تستعمل صيغ المبالغة في اللغة والصيغ الجامعة: إن الله على كل شيء قدير، إن الله بكل شيء عليم.

ولذلك قال: (فلا تضربوا لله الأمثال) (النحل: 74).

الله (ليس كمثله شيء) (الشورى: 11).

لا تقل: الله في علمه مثل كذا؛ فلا أحد يضاهي الله أو يشابه الله في علمه.

لا أحد كمثل الله في قدرته.

لا أحد كمثل الله في عظمته.

فلله العظمة التامة الكاملة، ولله العلم المطلق، ولله القدرة التامة، ولله الوصف بكل كمال، جل جلاله.

إذن، فالاستواء معلوم، يعني معروف في اللغة، أي معنى الاستواء.

أما الكيف إذا أُضيف إلى ذات الله وجلاله، فهو مجهول، أنا وأنت لا ندركه.

ثم قال: والإيمان به واجب :

فيجب أن تؤمن به لأن هذه آيات القرآن وردت في مواضع عدة من القرآن: **(الرحمن على العرش استوى) (طه: 5).**

والسؤال عنه بدعة :

يقصد أن الصحابة في زمن النبي ﷺ سمعوا هذه النصوص وفهموها على ما هي عليه، ولم يتكلفوا السؤال ولا الفحص ولا البحث عنها.

ثم قال الإمام مالك: وإنك لرجل سوء! أخرجوه من المسجد.

يعني لم يرضَ أن يفتح الباب لمثل هذه الأسئلة، لأنه يُشوّش على الناس دينهم وفطرتهم.

ولذلك، لما حدث بعد ذلك في قرون الترف العلمي، وبدأ العلماء يتكلمون في تفاصيل التفاصيل، حصل موضوع التشويش.

فقيل: نؤول! هل كذا؟ هل كذا؟ فجاءت فرقة وقالت: لا، الله تعالى ليس كخلقه، فنفوا عن الله أي صفة تشابه صفات البشر.

قالوا: إن رب العالمين سميع لكن ليس له سمع، وبصير بلا بصر، إلى آخر هذا التحريف!

الله سميع بلا كيف. الله بصير بلا كيف. يعني أنا وأنت نسمع بالأذن، نبصر بالعين. الله عز وجل بلا كيف يسمع، نحن لا ندرك كيف يسمع الله، لكنه يسمع دبيب النملة السمراء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.

إذن، فالله سميع، والله بصير لا يشابه خلقه.

البعض قالوا: لا نؤول. نقول: **(ولتصنع على عيني)** (طه: 39)، يعني بعنايته. **(والسماء بنيناها بأيدٍ)** (الذاريات: 47)، إشارة إلى القدرة.

طيب، لو أراد الله أن يقول هذا، لقال هذا.

فنُبقي هذه الصفات على ما هي عليه في القرآن كما تلاها النبي ﷺ وكما سمعها الصحابة، على ما هي عليه، بدون كيف ولا تشبيه ولا تمثيل. **(فلا تضربوا لله الأمثال) (النحل: 74).**

وهناك قاعدة، وليست حديثاً كما يظن البعض، قعَّدها العلماء، وهي:

كل ما خطر ببالك، فالله بخلاف ذلك

وورد في الحديث: (تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات الله، فإنكم لن تقدروا الله قدره)

تفكروا في آلاء الله: يعني في نعم الله وخلق الله، استدلوا على عظمته بما بثه في كونه.

والحديث عن هذا يطول، لكن يكفينا أن نعلم أو نستدل من هذا الحديث على عظمة الله وجلاله.

بهذا الكائن أو هذا الملك من مخلوقات الله، **يقول النبي ﷺ: (أُذن لي أن أتكلم عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام).**

سبحانك ما أجلك وما أعظمك!
سبحانك لا نحصي ثناءً عليك،
أنت كما أثنيت على نفسك.

****

الخاطرة التاسعة

وسع كرسيه السماوات والأرض

مع سلسلة حديثنا عن عظمة الله رب العالمين اليوم نتوقف مع قول الله تعالى: **(وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) [البقرة: 255].**

والكرسي ربما المتبادر إلى الذهن أنه كهذا الكرسي الذي أجلس عليه، لكن عندنا أثر **عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الكرسي هو موضع القدمين لله جل وعلا.**

وفي حديث أبي ذر الطويل، الذي حسن العلماء الشاهد منه، وهو عند ابن أبي شيبة في مصنفه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال **:(والذي نفسي بيده، ما السماوات السبع والأرضين بجانب كرسي الله إلا كحلقة ملقاة في فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة).**

حلقة: أي خاتم، فالسماوات السبع والأرضين بالنسبة إلى كرسي الله سبحانه وتعالى، كنسبة حلقة ملقاة في صحراء واسعة.

ثم فضل العرش على الكرسي، من ناحية العظمة والسعة والخلق، كفضل هذه الصحراء على تلك الحلقة.

كلام النبي صلى الله عليه وسلم بليغ ومجمل، يجعل الإنسان يفكر في عظمة الله ومدى اتساع هذا الكون.

لو أردنا تقريب الصورة، مثلًا:

هذا المكان الذي نحن فيه، بالنسبة إلى المدينة التي نعيش فيها، كم يمثل؟

إذا وسعنا النسبة، كم يساوي هذا المكان بالنسبة إلى كندا؟

ثم إذا وسعنا أكثر، كم يساوي بالنسبة إلى مساحة الكرة الأرضية؟!

طبعًا، ستضع رقم واحد إلى ما شاء الله.

هذا المكان الذي نحن فيه الآن بالنسبة إلى الكرة الأرضية لا شيء.

وهل تعلم أن هذه الكرة الأرضية كلها، هذا الكوكب الذي نعيش عليه، لا يساوي عند الله جناح بعوضة؟!

النبي صلى الله عليه وسلم قال **:(لو أن الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافرًا منها شربة ماء)**

هل الأرض هي مركز الكون؟

لفت نظري قصة ذكرها الدكتور عبد المجيد الزنداني، أنه كان في أحد المؤتمرات العلمية، وقال أحد المتحدثين إن هناك تصادمًا بين العلم والدين، وضرب مثلًا بالكنيسة وما جرى مع العلماء في زمان من الأزمنة. فقال له الدكتور الزنداني :(وماذا لو جئتك بشيء قاله نبينا منذ 1400 سنة يشير إلى حجم الأرض الحقيقي؟

فقالما هو؟

فقال: لو أن الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء
فالحديث يشير إلى أن الأرض ليست مركز الكون، بل هي أقل من جناح بعوضة. بالنسبة للكون.

أيضًا، قال الله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) [الطلاق: 12].

نحن نعيش على أرض واحدة ونرى سماء واحدة، وهذه السماء التي نراها ليست هي السماء ذاتها، بل الغلاف الجوي المحيط بالكرة الأرضية، وبيننا وبين السماء ما لا يعلمه إلا الله.

ثم تأملوا قول النبي صلى الله عليه وسلم :(أطّت السماء وحق لها أن تئط، ما من موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك راكع أو ساجد أو قائم، فإذا قامت الساعة قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك)

هذا الكون الممتد الفسيح، الرسول صلى الله عليه وسلم أخبرنا أنه كله بمثابة حلقة في صحراء واسعة بجانب كرسي الله.

وفي الحديث عن ابن مسعود، النبي صلى الله عليه وسلم يقول :(إن بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، وبين السماء الأولى والثانية خمسمائة عام، ومثل ذلك حتى السماء السابعة، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، ثم بين الكرسي والماء خمسمائة عام، ثم العرش، ثم الله مستوٍ على عرشه، وهو أقرب إلى أحدكم من راحلته، لا يغيب عنه شيء سبحانه وتعالى.)

إذاً الإنسان فينا لو أراد إدراك عظمة هذا الكون فإنه سيعجز، لأن هذا أمر أكبر من ملكاتنا العقلية؛ إنما نأخذ الأمر بهذه الشكل المجمل لندرك عظمة الله، وسعة كرسيه السماوات والأرض.

عظمة خلق السماوات:

الرسول صلى الله عليه وسلم قال :(أطت السماء وحق لها أن تئط، ما من موضع أربع أصابع إلا وفيها ملك راكع أو ملك ساجد أو ملك قائم، فإذا قامت الساعة قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك)

صوت الأطيط هو صوت السقف إشارة إلى ثقله أو إلى كثرة الحركة عليه.

سبحان الله العظيم، ما من موضع أربع أصابع في هذه السماوات الواسعة الممتدة إلا وفيها مالا يحصيه أحد من الملائكة.

كم عدد الملائكة؟

أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن الملائكة تدخل البيت المعمور، وهو كعبة السماء أو كعبة الملائكة في السماء السابعة، المحاذية لكعبة الأرض.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم :(البيت المعمور كعبة الملائكة في السماء السابعة، لو سقط لسقط على الكعبة يدخل البيت المعمور كل يوم سبعون ألف ملك، ثم يخرجون ولا يعودون إليه إلى يوم القيامة.)

فكم عدد الملائكة؟

سبحان الله. وبحمده سبحان الله العظيم.

الكائنات الفضائية وعلاقتها بالجن:

موضوع الكائنات الفضائية وعلاقتها بالجن يثير فضول الكثيرين، وهو يدخل في دائرة الغيب التي لا يمكن الحسم فيها؛ إلا بما ورد عن الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أو عن النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الصحيحة.

هل هناك مخلوقات أخرى غير الإنس والجن؟

نعم، الإسلام يُقرّ بوجود مخلوقات أخرى في هذا الكون إلى جانب الإنس والجن والملائكة، ومن الأدلة:

قال الله تعالى :(وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [النحل: 8].

فهذا النص يدل على أن الله يخلق أشياء ومخلوقات لا نعلمها.

وقال تعالى :(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ) [الشورى: 29].

كلمة (دابة) تشير إلى كل ما يدب على الأرض أو في السماوات، مما يدل على احتمال وجود مخلوقات حية في أماكن أخرى غير الأرض.

الكائنات الفضائية والجن: هل هما شيء واحد؟

الجن مخلوقات خُلقت قبل الإنسان من نار، ولديهم قدرة على التخفّي والسرعة الفائقة، كما في قصة سليمان عليه السلام عندما قال عفريت من الجن :**(أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ) [النمل: 39]** فهم يعيشون معنا على الأرض، ولهم عالمهم الخاص، لكنهم يستطيعون الانتقال بسرعة وقدرتهم على الحركة لا تحتاج إلى مركبات أو وسائل نقل.

لكن أريد أن أقول: ما خلق الله هذا الكون هكذا عبثًا، حاشاه سبحانه وتعالى. قال الله تعالى: **(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ) [الأنبياء: 16].** المقصود هنا أن الله لم يخلق هذا الكون للعب أو العبث.

لو أردنا أن نقرب الفكرة، بعض الملوك، مثلًا، يبنون قصورًا كثيرة في كل مكان، من أجل الترفه أو التباهي، وهذه الأمور قد تكون عبثًا لا هدف لها سوى السمعة. لكن الله سبحانه وتعالى لا يخلق شيئًا عبثًا، كل شيء له حكمة.

أما بخصوص السؤال عن العوالم الأخرى غير الإنس والجن والملائكة، فلا شك أن هناك عوالم أخرى. الله سبحانه وتعالى لم يخلق هذا الكون ليكون الإنسان في بقعة صغيرة منه فقط، وهي الأرض، ثم يكون بقية الكون مهجورًا.

بل لا شك أن هناك خلقًا آخر من خلق الله سبحانه وتعالى.

أيضًا، يقال إن هناك آلاف الشموس والأقمار الأخرى غير التي نعرفها في كوكبنا.

بالنسبة للقمر الذي زعموا أن أمريكا وروسيا صعدوا إليه، اكتُشف أنه بالنسبة لهذا الكون ليس إلا ضاحية صغيرة من ضواحي الأرض .

تصور أن القمر، الذي أنفقت ملايين الدولارات للوصول إليه، ليس سوى نقطة قريبة جدًا في الفضاء الخارجي للأرض.

الخلاصة:

هدف هذا الكلام هو أن ندرك عظمة الله تعالى وسعة ملكه وجلاله سبحانه وتعالى، وأن نفهم معنى قوله: **(وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) [البقرة: 255].**

نسأل الله أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه.

****

الخاطرة العاشرة

إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها

عن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خُضْعَانًا لقوله، كالسلسلة على صَفْوانٍ، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير. فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر (-ووصف سفيان بيده، وفرج بين أصابع يده اليمنى، نصبها بعضها فوق بعض- (فربما أدرك الشهابُ المستمعَ قبل أن يرمي بها إلى صاحبه فيحرقه، وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه إلى الذي هو أسفل منه، حتى يلقوها إلى الأرض(-وربما قال سفيان: حتى تنتهي إلى الأرض- (فتلقى على فم الساحر، فيكذب معها مئة كَذْبة، فيصدق فيقولون: ألم يخبرنا يوم كذا وكذا، يكون كذا وكذا، فوجدناه حقًّا؟ للكلمة التي سمعت من السماء) [رواه البخاري]

إذا قضى اللهُ الأمرَ في السماء، هذا أمر صادر عن ربِّ العزَّة ذي الجلال، يُبلِّغ الله تعالى ملائكته.

وفي حديث رواه ابن عباس ورد فيه تفصيل أكثر: قال ابن عباس: كنا جلوسًا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة من أصحابه، فانفجر عن أحد النجوم شهاب (الشهاب هذا الذي نراه يُرمى به جني من الشياطين التي تسترق السمع)

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما كنتم تقولون في هذا في الجاهلية؟ قالوا: كنا نقول إن هذا لموت عظيم أو ولادة عظيم.

فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الأمر حينما يصدر عن ربِّ العزَّة جل وعلا، يسمعه حملة العرش من الملائكة المقرَّبين، ثم يُبلِّغونه إلى من يليهم من الملائكة في السماء السابعة، وهكذا كل ملائكة سماء يُبلِّغونه إلى السماء التي تليها حتى يصل إلى السماء الدنيا، فهنا تسترق الشياطين السمع من الملائكة.

الحديث فيه بيان عظمة الله وجلاله، وأنه حينما يُكلِّم الملائكة، فإن الملائكة تضرب بأجنحتها خضعانًا لقوله، تخضع لله عز وجل وتذل له.

وشُبِّه من باب التقريب صوت الرحمن جل جلاله بقوته وشدَّته، كأنه سلسلة على صفوان، والسلسلة المعروفة التي هي مثل السلاسل الضخمة للسفن تُضرب على الرخام.

والصفوان هو الحجر الأملس (الرخام).

سبحان الله العظيم، الملائكة تفزع لجلال الله وهيبة الله وإصغاءً للأمر الصادر عن الله، قدر الله الذي سينفذونه ويبلغونه.

فيقولون: ماذا قال ربُّنا؟

وهذا سؤال الملائكة للملائكة الذين أعلى منهم .فيقولون: قالوا الحق.

والحق هنا يُقصد به كل ما أمر الله تعالى به من أمر أو تشريع؛ أمر كوني أو أمر شرعي أو قَدَر يُنفِّذه الله سبحانه وتعالى ويشاؤه.

كل هذا يشمل معنى قوله تعالى: **(يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا) (النبأ: 38).**

ويتناقل الملائكة هذا الأمر الإلهي من سماء إلى سماء حتى يبلغ إلى السماء الدنيا.

والشياطين، رغم أنهم يعلمون أن هناك شهابًا سيُحرق أحدهم كما نقرأ في قوله تعالى: **(وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا) (الجن: 8)**، إلا أنهم يُصرُّون على ذلك كأنهم في مهمة انتحارية؛ لدرجة أنهم يركب بعضهم فوق بعض، هكذا شيطان فوق شيطان فوق شيطان، ليحاولوا أن يأخذوا أي كلمة من الملائكة من أقدار الله تعالى النافذة.

فإذا أخذوا شيئًا أو أفلح أحدهم في أن يفلت بشيء دون أن يحترق، أو أنه وهو يحترق يُبلِّغ الجن الذي وراءه، وهكذا يُلقون بهذه الكلمة إلى الكاهن أو الساحر.

فالساحر يخلط بها مئة كذبة حتى يستطيع أن يبيع بضاعته، ويروّج كلامه على السذج والجهلاء والبلهاء.

فالناس من طبيعتهم إذا قال الساحر مئة كذبة، وفيها واحدة صواب أو صحيحة، فإن الناس ينسون الكذب كله ويقولون: (هكذا قال الساحر فلان، وهكذا قال العرَّاف فلان، وهذه نبوءة فلان الفلاني)

وهم لا يدرون أنما هو كذب؛ كل هذا الكذب مع هذا القدر القليل من الصدق، فنسبة الصدق والكذب: واحد في المئة صدق، وتسعة وتسعين في المئة كذب.

سبحان الله العظيم، وهذا يبين لنا أيضًا، أنه لا يعلم الغيب أحد إلا الله عز وجل. ثم من أطلعه الله بوحي كنبي أو رسول.

أما ما يحدث من استراق الشياطين للسمع من الملائكة، فهو فتنة للناس، فيظنون أن هذا العراف يعلم الغيب أو هذا الساحر يعلم الغيب. ويصدقون كلامه، ويستعينون به، ويرجعون إليه.

والإنسان بطبيعته شغوف بمعرفة المستقبل والأمور الغيبية، ولذلك ينبغي أن ننتبه إلى أن هذا، والعياذ بالله، من الكفر، قال تعالى: **(قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) (النمل: 65).**

والنبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أتى عرّافًا أو كاهنًا فصدّقه بما قال فقد كفر بما أُنزل على محمد)

ومن أتى كاهنًا فسأله عن شيء، مجرد أنه يطمئن أو يستوثق أو ما شابه ذلك، فقد **قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لم تُقبل له صلاة أربعين يومًا).**

فهذا الذي يسمي نفسه عرافا الآن صارت له قنوات فضائية، ويدفع له بالكريديت كارد، ويرقي بالصورة، ويرقي أونلاين.

كل هذا دجل وكذب في كذب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الأبراج، وحظك اليوم:

موضوع الأبراج، وحظك اليوم وهذه الأشياء كلها خزعبلات وخرافات.

لا تعلق أقدار الله بالنجوم...هذا فلان نجمه طالع، وهذا نجمه منخفض، وهذا نجمه في السماء، وهذا محظوظ، وهذا منحوس.

لا تعلق أقدار الله بهذه الأشياء كلها. إنما الأمور تجري بمقادير الله عز وجل.

وحتى ما يجري من استراق الشياطين للسمع وإخبار الكهنة والعرافين، هذا أيضًا من قدر الله.

وكان هذا الأمر كثيرًا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم. فلما بُعث، حُجب ذلك عنهم، وصارت الشهب ترجم الشياطين.

فصاروا ما يبلغونه قليل جدًا مما يصل إليهم. وكله من قدر الله سبحانه وتعالى.

طبيعي جدًا لو قلت مثلًا في تحليل النفس البشرية، هم يقولون: مثلًا برج الحوت صفته كذا، برج الميزان صفاته كذا.

أي إنسان في الدنيا، لو قلنا إنه يأكل ويشرب، هل هذا شيء من الغيب؟

ولو قلنا إنه يحب أن يكون له أصدقاء، هذه طبيعة الإنسان؛ فهو كائن اجتماعي.

ومن العقوبات أن يُعزل هذا الكائن الاجتماعي في سجن أو في حبس انفرادي كعقوبة له.

فمن من الناس لا يحب أن يكون له أصدقاء؟ أو ليس عنده عواطف أولا يحب أن يكون مشهورًا أو محبوبًا أو ناجحًا؟

فهم يلعبون على هذه الأوتار بهذا الشكل، فيقولون: إن مواليد برج الميزان يحبون كذا، ويكرهون كذا، ويتميزون بالذكاء.

ولو أنهم قالوا إنهم يفكرون في الانتحار، أو يتميزون بالغباء، أو أنهم فاشلون، أو أنه كذا، ما أصغى إليهم أحد، لكنهم يغازلون أمورًا داخلية أو مكنونة في النفس.

فأنت تفرح وتقول: (أنا ذكي، أنا من برج الميزان، ذكي، عبقري، مؤثر على الآخرين، عندي أصدقاء كثير).

كل هذا تحليل للنفس البشرية، وليس بالشيء الصعب.

فهم يلعبون على هذا الوتر؛ مكنونات النفس، وحاجة النفس إلى أن تعرف، وأن تكون ناجحة، وأن تُوصف بالذكاء وما شابه ذلك.

وكلنا قد قسم الله أخلاقنا كما قسم أرزاقنا؛ فالذكاء متفاوت ومتوزع بيننا.

والصفات الطيبة متوزعة فينا، والحاجات والنوازع البشرية متوزعة فينا، لا علاقة لها لا بميزان، ولا حوت، ولا عقرب، ولا جدي ولا حمل، ولا كل هذه الخرافات المتعلقة بالأبراج.

هذا كله من الكذب، ومن صدق في هذه الأشياء فقد كفر بما أنزل على محمد، فلا علاقة بين الأبراج وبين أقدار الله تعالى النافذة.

الغيب المطلق والغيب النسبي:

أود أن أشير في ختام حديثي إلى أمر، وهو أن الجن يعلمون الغيب النسبي وليس الغيب المطلق.

الغيب النسبي هو الماضي والحاضر من المعلومات التي خفيت عني، لكن يعلمها غيري.

يعني مثلًا، بعض الناس حينما يذهب إلى أحد الدجالين شياطين الإنس الذين يتعاملون مع شياطين الجن، يقول له: (أنت اسمك محمد، وأمك اسمها كذا، وأنت تشتكي من كذا وكذا، وزوجتك فعلت كذا، أو ابنك فعل كذا، وأنت ذهبت، وأنت عملت عملية جراحية، وأنت شاركت في صفقة تجارية خاسرة، وأن هناك عملًا معمولًا على ذيل سمكة في البحر الأحمر... إلى غير ذلك من هذه الترهات.

هذه كلها معلومات ليست خفية، هذا الشيطان يستعين بقرينك.

كل واحد فينا له قرين، فيستعين بقرينك، ومن خلاله يعرف المعلومات التي يعرفها كل من حولك.

يعني ليس سرًّا عسكريًّا أنه يعرف اسمك واسم الوالدة مثلًا، هذا ليس سرًّا خفيًّا.

وليس سرًّا خفيًّا أن يعرف أنك كنت مريضًا أو أنك تشكو من كذا أو كذا.

لأن بعض الناس يُصيبهم الاندهاش، فيقولون: (هذا أخبرني أن فيَّ كذا وكذا.

وهذا طبيعي، لأنه يتعامل مع القرين الذي معك.

فهو لا يعرف شيئًا، هو يُلقى في أذنه من شياطينه بهذا الكلام، فيُخبرك به، ويصير الأمر كأنه حقائق وأنه يعرف هذا، هذا هو الغيب النسبي.

الجن يعرفون الماضي والحاضر:

والجن يعرفون الماضي والحاضر، لكن لا يعرفون المستقبل.

والجن عندهم فروق في الزمن وفي السرعة بالنسبة لنا، وعندهم سرعة لنقل الأخبار كلمح البصر، أسرع من البشر بكثير وأقصى مما نتخيل.

فهذه الفروقات تحدث هذه الفتنة عند بعض الناس، فيُفتنون ويظنون أن هذا شيخ سره باتع، وهذا شيخ ما شاء الله، وهكذا. سبحان الله العظيم.

قصة الشيخ كتكوت:

وأذكر مرة كنت في قرية من القرى في مصر ألقي درسا عن التوكل وفي طيات الحديث تكلمت عن الخرافات التي تنتشر بين الناس في الريف بالذهاب إلى بعض الدجالين والنصابين الذين يزعمون أنهم يضرون وينفعون ورمزت لأحدهم على سبيل السخرية بـ (الشيخ كتكوت) تحقيرا وتصغيرا له

وجعلت أقول ساخرا:
إذا تزوجت امرأة وتأخر حملها تذهب للشيخ كتكوت
إذا جاءها أكثر من خاطب وذهبوا لم يرجع منهم أحد تذهب للشيخ كتكوت
من فقد وظيفته أو عمله يذهب للشيخ كتكوت

من كان ضرسه يؤلمه يذهب للشيخ كتكوت
من يرسب في الشهادة الثانوية مرتين وثلاثة يذهب للشيخ كتكوت
أين اليقين بالله وحسن التوكل عليه لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : **(من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما قال فقد كفر بما أنزل على محمد)**
فقال أحد الجالسين بتلقائية وكان رجلا كبيرا في السن : سيدنا الشيخ الله يسترك دلني على الشيخ كتكوت !!! أنا محتاجه ضروري!!!!
وضج المسجد بالضحك لهذه المفارقة العجيبة لأني أحذر الناس من الشيخ كتكوت الذي يزعم حل المشاكل المستعصية من وجهة نظر الناس والشيخ كتكوت ليس له وجود أصلا...
المهم غضب الرجل وقام يصرخ في الناس بغضب لم تضحكون ؟!!
أيوه أنا عايز الشيخ كتكوت... ايه اللي يزعل في كده
بنت أخي لها ستة أشهر متزوجة ولم تحمل إلى الآن!!!!
وضج المسجد بالضحك أكثر... وزاد غضب الرجل أكثر...
فقلت له يا حاج الله يبارك فيك أنا أقول أنه ينبغي علينا أن نتوكل على الله لا على الشيخ كتكوت.
فقال لي يا سيدنا وايه المشكلة لما تخبرني أين مكان الشيخ كتكوت !! أو تعطيني رقم تلفونه؟
والمسجد لا ينقطع عن الضحك
وأنا لا أدرى كيف أقنع الرجل
وأمام هذه الكوميديا اللامعقولة
قام بعض الإخوة العقلاء وقال له: يا عم الحاج اترك الشيخ يكمل درسه وإن شاء الله سيخبرك بمكان الشيخ كتكوت في نهاية الدرس.

فتخيل أن الناس ارتبط في عقيدتهم هذا الأمر والله المستعان.

والمسلم إذا امتلأ قلبه يقينًا بالله علم أنه ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الشياطين مهما بلغوا، فالله وصف كيدهم بأنه **(إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) (النساء: 76).**

لكن هذا الضعيف يكون ضعيفًا أمام إيمان قوي، لكنه يكون قويًّا إذا كان مع إيمان ضعيف.

يعني مثلًا، أنت لما تأتي طفلًا عنده عشر سنوات قوي البنية أمام واحد مريض عنده سُلّ، أو عنده مرض من الأمراض التي تُضعف البدن، هذا الطفل ذو العشر سنوات إذا ضربه، الضربة تكون موجعة أم لا؟

رغم أن الطفل ضعيف، لكن لأنه قابل من هو أضعف، صار بالنسبة له قويًّا.

فهذا الشيطان ضعيف؛ كل الشياطين بكيدهم، وكل السحرة بكيدهم، ضعفاء، لا حول لهم ولا قوة، فعلهم الوسوسة والكيد فقط، هذا الكيد أمام قوة الإيمان لا شيء.

الخلاصة:

في قول الله تعالى: (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ) (النحل: 98-100).

كان هذا حديثنا عن كيفية إصدار الأمر من الله عز وجل للملائكة، وكيف تسترق الشياطين السمع، ثم تُلقي بهذا الكلام إلى السحرة والدجالين، فيُخلطون به مئة كذبة.

نسأل الله سبحانه وتعالى

أن يُنجينا من الفتن ما ظهر منها وما بطن،

وأن يثبتنا على الحق إلى أن نلقاه.

اللهم آمين.

****

الخاطرة (11)

اسم الله الأعظم جل جلاله

الاسم الأعظم معناه: هو الاسم الذي إذا سئل الله به أعطى وإذا دُعي به أجاب.

أقوال العلماء في الاسم الأعظم:

يقول الله سبحانه: (ولِلهِ الأسْماءُ الحُسْنَى فادْعُوهُ بِهَا) (سورة الأعراف: 180) ويقول: (قل ادْعُوا اللهَ أو ادْعُوا الرّحمنَ أيًّا ما تَدْعُوا فلَه الأسماءُ الحُسْنَى) (سورة الإسراء: 110)، فيستحب للمؤمن أن يتوسل في دعائه لله بأسمائه الحسنى، وهو مخَيَّر في أن يدعوَ ربّه بأي اسم من أسمائه التي ذُكِرَت في القرآن الكريم، ويَزيد عددها على التسعة والتسعين.

وجاء في فضلها حديث البخاري ومسلم **(مَنْ أحْصاها دخل الجنّة)**

أي مَن حفظها، وعمل بما فيها، وهناك من الأسماء ما هو أقربُ للاستجابة عند الدُّعاء به، وهو اسم الله الأعظم، الذي إذا دُعيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعْطى قال الشيخ عبد الرحمن السعدي –رحمه الله-: (بعض الناس يظن أن الاسم الأعظم من أسماء الله الحسنى لا يعرفه إلا من خصه الله بكرامة خارقة للعادة، وهذا ظن خطأ، فإن الله تبارك وتعالى حثنا على معرفة أسمائه وصفاته، وأثنى على من عرفها، وتفقه فيها، ودعا الله بها دعاء عبادة وتعبد ودعاء مسألة، ولا ريب أنّ الاسم الأعظم منها أولاها بهذا الأمر، فإنه تعالى هو الجواد المطلق الذي لا منتهى لجوده وكرمه، وهو يحب الجود على عباده، ومن أعظم ما جاد به عليهم تعرفه لهم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، فالصواب أنّ الأسماء الحسنى كلها حسنى، وكل واحد منها عظيم، ولكن الاسم الأعظم منها كل اسم مفرد أو مقرون مع غيره إذا دل على جميع صفاته الذاتية والفعلية أو دل على معاني جميع الصفات.

القول الأول: الاسم الأعظم هو" الله"

فهو الاسم الجامع لله تعالى الذي يدل على جميع أسمائه وصفاته تعالى، وهو اسم لم يُطلق على أحد غير الله تعالى، وعلى هذا أكثر أهل العلم.

وقال الشيخ عمر الأشقر – رحمه الله :– والذي يظهر من المقارنة بين النصوص التي ورد فيها اسم الله الأعظم أنّه: (الله)، فهذا الاسم هو الاسم الوحيد الذي يوجد في جميع النصوص التي قال الرسول صلى الله عليه وسلم إنّ اسم الله الأعظم ورد فيها.

ومما يُرجِّح أن (الله) هو الاسم الأعظم أنه تكرر في القرآن الكريم (2697) سبعاً وتسعين وستمائة وألفين – حسب إحصاء المعجم المفهرس – وورد بلفظ (اللهم) خمس مرات، في حين أنّ اسماً آخر مما يختص بالله تعالى وهو (الرحمن) لم يرد ذكره إلا سبعاً وخمسين مرة، ويرجحه أيضاً: ما تضمنه هذا الاسم من المعاني العظيمة الكثيرة.[5]

القول الثاني: الحي القيوم:

ويأتي في الدرجة الثانية من القوة في كونه اسم الله الأعظم **(الحي القيوم)**

وقد ورد في ذلك عدة أدلة منها:

1- عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) وفاتحة آل عمران: (آلم الله لا إله إلا هو الحي القيوم) صححه الألباني.

2- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أهمه الأمر رفع رأسه إلى السماء وإذا اجتهد في الدعاء قال: (يا حي يا قيوم)

3- وعن أنس بن مالك قال كان النبي إذا كربه أمر قال:(يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث).

4- وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اسم الله الأعظم في ثلاث سور من القرآن البقرة وآل عمران وطه). قال القاسم فالتمستها فإذا هي في البقرة آية الكرسي) الله لا إله إلا هو الحي القيوم) وفي آل عمران فاتحتها (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) وفي طه (وعنت الوجوه للحي القيوم) صححه الألباني

(5) العقيدة في الله (ص 213).

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن اسم الله الأعظم هو: الحي، حيث قال: فالحي نفسه مستلزم لجميع الصفات، وهو أصلها؛ ولهذا كانت أعظم آية في القرآن: **{اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}** وهو الاسم الأعظم؛ لأنه ما من حي إلا هو شاعر مريد، فاستلزم جميع الصفات، فلو اكتفي في الصفات بالتلازم لاكتفى بالحي؛ لأنه لو لم يكن إلا اسمه الحي لاستلزمت حياته سائر الصفات.

فرأي ابن تيمية: أن (الحي) هو اسم الله الأعظم، أما تلميذه ابن القيم فإنه يرى أن اسم الله الأعظم هو: الحي القيوم، فقد قال: اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، هو اسم (الحي القيوم) وهو قول طائفة من العلماء، ومنهم النووي، ورجحه الشيخ العثيمين رحمه الله.

القول الثالث: أنه مؤلَّف من عدة أسماء، بناء على الأحاديث الواردة فيه وقد صح منها ما يلي:

1- **روى أصحاب السنن أن النبي -صلى الله عليه وسلم- سمع رجلاً يدعو ويقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، فقال: والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى) صححه الألباني**
2- **وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا ورجل يصلى ثم دعا فقال: (اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى). صححه الألباني**
3- **وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (دعوة ذي النون اذ دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين إنه لم يدع بها مسلم في شي قط إلا استجاب الله له). صححه الألباني.**

4- وفي الصحيحين من حديث بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب: (لا إله الا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض رب العرش الكريم).

5- وعن على بن أبي طالب رضي الله عنه قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل بي كرب أن أقول: (لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين) صحيح ابن حبان.

والظاهر من تعدد الروايات أن القاسم المشترك بينها هو توحيد الله سبحانه، والدعاء بالتوحيد فيه إخلاص وثقة بالله، ونفي للشريك عنه، وتقرير أنه لا يستحق أحد سواه أن يُلجأ إليه، فلا بد لكل دعاء أن يصحبه هذا الشعور حتى يكون في موضع الرجاء للقبول.

ومن كانَ حَريصاً على الدُّعاءِ باسمِ الله العَظيمِ الأعظَمِ فَلْيَقُلْ ما عَلَّمَنا إيَّاهُ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ:

في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(ما أصاب أحد قط هم ولا حزن فقال اللهم إني عبدك بن عبدك بن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحا) فقيل يا رسول الله ألا نتعلمها قال عليه الصلاة والسلام: (بل ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها) صححه الألباني.

قول الشيخ راتب النابلسي:

يقول في شرح اسم (الأحد)

ولكن لا بد من وقفة عند اسم الله الأعظم : اختلف العلماء في اسم الله الأعظم ، فبعضهم قال : الرحمن ، وبعضهم قال : الله ، هذا الاختلاف يحسم بحقيقة رائعة ، وهي أن اسم الله الأعظم هو الاسم الذي أنت بحاجة إليه في ظرف معين ، فإذا كنت فقيراً فاسم الله الأعظم بالنسبة إليك هو اسم الغني ، وإذا كنت ضعيفاً فاسم الله الأعظم

بالنسبة إليك هو اسم القادر ، وإذا كنت تائهاً فاسم الله الأعظم هو اسم الهادي ، وكل هذه الأسماء تدور مع الإنسان ، فتارةً التواب ، وتارةً المغني ، تارةً الرحيم ، تارةً القوي ، تارةً الناصر ، فكل حالة أنت فيها هناك اسم من أسماء الله الحسنى هو بالنسبة إليك اسم الله الأعظم.

والذي يلفت النظر أنه ورد في القرآن الكريم في آية هي أصل في هذه الدروس:**(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا) [الأعراف:180].**

إذا كنت مظلوماً فادعُ الله باسمه الناصر، وإذا كنت مضطراً فادعُ الله باسمه المجيب، وفي كل حال أنت فيه هناك اسم من أسماء الله الحسنى شفاء لك، وحصن لك، وأساس في حلّ مشكلتك.

ومعنى كلامه حفظه الله:

أنه ينبغي على الداعي أن يستحضر من أسماء الله ما يناسب مطلبه فيراعى فيها التناسب، كما تقول: يا غفور اغفر لي، ويا رزاق ارزقني، ويا منان منّ عليَّ، ولا يقبل أن يقول اللهم عليك بمن ظلمني يا أرحم الراحمين، أو يا شديد العقاب اغفر لي.

****

الخاطرة (12)

حديث: (إن الله لا ينام...)

روى الإمام مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.)

(إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام)

لأنه سبحانه وتعالى لا يصيبه أعياء ولا تعب.

نحن – البشر – ننام طلبًا للراحة، ولا نستطيع أن نواصل الحياة بدون نوم؛ خلقنا الله هكذا: ننام فتزودنا الراحة ونستعد ليوم جديد.

أما رب العالمين جل جلاله، فإنه لا يصيبه تعب، ولا أعياء، ولا مرض، ولا حاجة إلى النوم. حتى في آية الكرسي قال الله تعالى: **(لا تأخذه سنة ولا نوم)** [البقرة: 255]

والسِّنة هي أول النوم (النعاس)، فلا يصيبه غفوة ولا نوم عميق؛ فالله جل جلاله لا تأخذه سنة ولا نوم، والنوم صورة مصغرة من الموت.

والنبي صلى الله عليه وسلم، لما سئل: (أينام أهل الجنة؟ قال: لا، النوم أخو الموت)

فهذا النوم موت، وهو لا يليق بالله عز وجل.

(يخفض القسط ويرفعه)

القسط هو ميزان العدل، وكل شيء عند الله بميزان: قال تعالى: **(وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم) [سورة الحجر، الآية 21]**

فالمراد هنا ما ينزل من الله سبحانه وتعالى من الأرزاق التي قسمها لعباده.

فكل هذه الأرزاق بقدر وبعلم الله.

وقال تعالى: (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) [سورة الرعد، الآية 26]

ولا يصح ما شاع في ثقافات بعض الناس أن نال رزقه لأنه محظوظ، وهذا حُرم لأنه منحوس، فهذه أوهام، وكل واحد يصيبه ما كتب له.

مرورك في شارع معين ليس صدفة. وجودك في مكان ليس صدفة. ولادتك في مدينة معينة لعائلة معينة ليس صدفة. رزقك بسبب عملك الفلاني ليس صدفة. زواجك من فلانة ليس صدفة. كل شيء عند الله بقدر.

إذاً: **(يخفض القسط)** إشارة إلى ما ينزله من الأرزاق المقسومة على عباده.
و(يرفعه) إشارة إلى ما يُرفع إليه من أعمال العباد فيجازيهم بها، فالله تعالى لا يظلم مثقال ذرة.

(يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل)

الملائكة هي التي تتولى رفع هذه الأعمال في العرض اليومي. كما في الحديث:

(يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فيجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر) .صحيح البخاري

فيسأل الله تعالى الذين باتوا فينا – وهو سبحانه وتعالى أعلم -: (كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: (أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون)

إذاً: يُعرض عمل النهار في صلاة العصر، ويُعرض عمل الليل في صلاة الفجر.

والمقصود هنا أنه ليس هناك ما يشغله سبحانه وتعالى عن تدبير ملكه وأمور خلقه. فكل شيء عند الله بحساب وبمقدار.

لما سأل رجل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (كيف يُحاسب الله الناس جميعًا في ساعة واحدة؟ قال: (كما يرزقهم جميعًا في ساعة واحدة.)

فالمسألة هنا ليست متعلقة بقدراتك البشرية، الله تعالى له القدرة على ذلك بما لا يحيط به علم.

ومن باب الفائدة، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن هناك العرض اليومي، وهناك العرض الأسبوعي، وهناك العرض السنوي:

- **العرض اليومي:** يرفع عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل.
- **العرض الأسبوعي:** تُعرض الأعمال على الله عز وجل يومي الاثنين والخميس **أخرج الإمام أحمد في مسنده: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أكثر ما يصوم الاثنين والخميس، فقيل له: (أي سُئل عن ذلك): قال: إن الأعمال تُعرض كل اثنين وخميس فيُغْفَر لكل مسلم ـ أو لكل مؤمن ـ إلا المتهاجرين، فيقول أَخِّرهما)، وعند الترمذي بلفظ: (تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحبُّ أن يُعْرض عملي وأنا صائم)**
- **العرض السنوي:** يكون في شهر شعبان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى الله. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (وأحب أن يُرفع عملي إلى الله وأنا صائم.) رواه النسائي

(حجابه النور)

أي أن لله عز وجل حجابًا من نور.

(لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه من جلال الله وعظمته لو انكشف هذا الحجاب : **(لأحرقت سبحات وجهه)** أي جلاله وعظمته.

فمن جلال الله وعظمته، إذا نُزع هذا الحجاب لاحترق ما انتهى إليه بصره من خلقه، يعني جميع الخلق، لأن الله لا يخفى عليه شيء ولا يخفى عليه أحد **:(لا تُدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) [الأنعام، الآية 103]**

وهذا أصح ما ورد في تفسير سؤال أبي ذر للنبي صلى الله عليه وسلم لما سأله: (هل رأيت ربك؟ قال: (نورٌ أنا أراه) صحيح مسلم[6]

(6) هذا في ليلة المعراج، لما اصطفى الله نبينا وتقدم إلى سدرة المنتهى.

أي: حجبه عنه حجاب النور. فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يرَ الله لأننا في الدنيا لم نُهيأ لهذا الأمر.

كما في قصة موسى مع رب العزة لما قال له **:(ربي أرني أنظر إليك قال لن تراني(** (سورة الأعراف، الآية 143) فليس عندك إمكانيات أو قدرة لأن ترى رب العالمين.

وضرب الله له مثلاً، قال **:(ولكن انظر إلى الجبل، فإن استقر مكانه فسوف تراني.)** والجبل، لا شك، أنه أرْسَخ وأقوى وأمتن، لكن الجبل لما تجلى له رب العالمين اندك دكًا، ومن قوة الصوت، صعق موسى عليه السلام وخر موسى صعقًا.

إذاً، فالله تعالى له حجاب من نور، **والنبي صلى الله عليه وسلم قال: (نورٌ أنا أراه.)**

وفي يوم القيامة، سيُهيئ الله تعالى المؤمنين، ويجعل عندهم القدرة لرؤيته جل جلاله **:(وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة) [القيامة، الآيتان 22-23]**

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أما إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا تُضامون في رؤيته) صحيح البخاري

فالتشبيه هنا لإمكانية الرؤية، وليس أن الله عز وجل كالقمر؛ **فالله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [سورة الشورى، الآية 11]**

نسأل الله تعالى أن يهدينا صراطه المستقيم،

وأن يثبتنا عليه إلى أن نلقاه.

اللهم آمين يا رب العالمين.

****

الخاطرة 13

حديث يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي...

عن أبي ذر الغفاري – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال:

يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا،

يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم،

يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم،

يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم،

يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا، فاستغروني أغفر لكم،

يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني،

يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا،

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا،

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر،

يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه أخرجه مسلم

هذا حديث عظيم جدًا وفيه فوائد كثيرة، لكننا إن شاء الله نتناول بعضها حتى لا نطيل في خاطرتنا

الله سبحانه وتعالى يخبر عن ذاته الكريمة فيقول :

يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي

نحن عبيد الله عز وجل، كلنا ملكه وطوع أمره، يفعل فينا ما يشاء، ومع قدرته جل وعلا على خلقه، وأنه لا يعجزه شيء منهم، فإنه حرم الظلم على نفسه، وجعل هذا الظلم محرمًا بين خلقه، فهو من أبغض الذنوب إلى الله.

والتحريم أصله المنع، حرمت يعني منعت.

ما هو الظلم؟

الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه او هو التصرف في ملك الغير بغير اذنه، وكلاهما حرام علينا.

وهل في إمكانه – تبارك وتعالى- أن يظلم؟

أي نعم لكنه لم يفعل، لأنك لا تمدح أحدا بشيء وهو لا يقدر على فعله، فمثلا لن أمدح أني صائم وأنا لا أصوم أصلا، لكن أنا أصوم وأفطر لأني عندي القدرة على الاثنين، مثال آخر: ملك قادر على الظلم والعدل فيعدل بين الناس رغم قدرته على الظلم باستعمال السلطة

وليس لأحد أن يوجب على الله شيئا لكنه هو الذي يوجب على نفسه ما يشاء فهو الذي قال: **(كتب ربكم على نفسه الرحمة)** [الأنعام 54] فهو من كتب على نفسه الرحمة وهو الذي قال: **(إني حرمت الظلم على نفسي)** فالظلم مستحيل على الله لأنه لا يليق بجلاله وكماله أن يظلم؛ كما قال عز وجل: **﴿وما أنا بظلام للعبيد﴾ [ق: 29]، وقال: ﴿وما الله يريد ظلما للعالمين﴾ [آل عمران: 108]، وقال: ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئا﴾ [يونس: 44]**

وقوله تعالى: «وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا «أي: لا يظلم بعضكم بعضا، **وقوله: فلا تظالموا** أصل الكلمة تتظالموا فلأن فيها ثقل لاجتماع تاءين حذفت إحداهما، وفي بعض روايات الحديث أدغمت التاء الثانية في الظاء فصارت تظّالموا بتشديد الظاء.

والظلم نوعان:

أحدهما: ظلم المرء نفسه، وأعظمه الشرك، **(إن الشرك لظلم عظيم) [لقمان: 13]**

لماذا سمى الله الشرك ظلم عظيم؟

لأن أعظم حقوق الله على العباد أن يعبدوه وحده لا شريك له كما في حديث معاذ لما **قال له النبي صلى الله عليه وسلم: (يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً)**

فإذا جاء من يشرك بالله، ويعبد معه غيره فهذا ظلم، لأنه أدى الشكر لغير المنعم، الذي أنعم عليك ورزقك هو الله، فلماذا تعبد غيره؟

أو أنه ظلم عظيم لنفسه لأن المشرك محروم من مغفرة الله عز وجل فالله يغفر أي ذنب إلا الشرك، **قال تعالى: - إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا - [النساء/116]**

فكل الذنوب واقعة تحت عفو الله ومشيئته إن شاء عفا وإن شاء عذب، أما من عاش على الشرك ومات عليه فقد حرمت عليه الجنة قال تعالى: **(إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار - [المائدة/72]**

والثاني: ظلم المرء غيره، وهو المنهي عنه هاهنا في هذا الحديث؛ والظلم بالنسبة للعباد فيما بينهم يكون في ثلاثة أشياء بيّنها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله وهو يخطب الناس في حجة الوداع: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟» قالوا: نعم، قال: اللهم فأشهد)**

فهذه ثلاثة أشياء: الدماء، والأموال، والأعراض

فالظلم فيما بين البشر حرام في الدماء، فلا يجوز لأحد أن يتعدى على دم أحد، لا بقتل ولا بجرح أو اعتداء، كل هذا حرام لا يجوز

وقوله صلى الله عليه وسلم: «وأموالكم» حرم الله – سبحانه وتعالى – على بعضنا أن يأخذ من مال أخيه بغير حق، بأي نوع من الأنواع؛ سواء أخذه غصبا بأن يأخذ بالقوة، أو أخذه سرقة، أو اختطافا، أو خيانة، أو غشا، أو كذبا، أو بأي نوع يأخذه، فإنه حرام عليه

أما الأعراض فهي أيضا حرام، فلا يحل للإنسان أن يقع في عرض أخيه، فيغتابه في المجلس أو يسبه، فإن ذلك من كبائر الذنوب قال الله عز وجل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا**﴾ **[الحجرات: 12]**

وهذا الظلم لا يترك منه الله شيئا فلا بد فيه من القصاص يوم القيامة إلا أن يتحلل الظالم من المظلوم في الدنيا، **قال النبي صلى الله عليه وسلم: من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه رواه البخاري**

وفي صحيح مسلم قول النبي صلى الله عليه وسلم: (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة)

ثم يناديا الله :يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته

قوله: يا عبادي كرر النداء زيادة في تشريفهم وتعظيمهم؛ ولذا أضافهم إلى نفسه.

كلكم ضال إلا من هديته؛ أي: وفقته ومنعت عنه أسباب الضلالة

فاستهدوني؛ أي: اطلبوا مني الهداية، أهدكم أدلكم على طرق النجاة في الدنيا والآخرة

وفي هذا دلالة على أن جميع العباد في الأصل على ضلال لا يمكنهم معرفة طريق الهداية وطريق الجنة من تلقاء أنفسهم مهما بلغوا من الذكاء ولا يمكنهم ذلك إلا عن طريق إرشاد الله، وهدايته وتوفيقه لهم، ومن يمنع الله عنه طريق الهداية يكون ضالا حائرا عن الحق، كما قال تعالى: **(ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم**

أولياء من دونه) [الإسراء 97]، ولذلك شرع لهم أن يسألوه الهداية والتوفيق دائما في كل صلاة كما قال تعالى: **(اهدنا الصراط المستقيم) [الفاتحة:6]**

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يدعو بالهداية كما في حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو فيقول: اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى رواه مسلم

قوله :يا عبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم فاستطعموني
اطلبوا الرزق مني، لا يستنكف حي، ولو كان غنيا أن يستطعمني، اطلبوا الرزق مني غنيكم وفقيركم، فمن الممكن أن أحد الأغنياء يمسي غنيا ويصبح فقيرا، وهناك من عندهم أطعمة ولا يستطيعون أن يأكلوها، لعلة في صحتهم تمنع الأكل.

فالرزاق هو الله سبحانه وتعالى، الذي يهب النعم والذي يهب الأرزاق والذي يقسم الأقوات هو الله سبحانه وتعالى، فأمرنا أن نسأله الرزق.

فاستطعموني أطعمكم: اطلبوا مني أن أطعمكم واطلبوا مني الرزق وخذوا بالأسباب متوكلين علي في طلب الرزق، أرزقكم وأطعمكم.

قوله: (يا عبادي، كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم) [7]

كلكم عار فنحن قد ولدنا عرايا والذي كسانا ووهبنا ما كسينا به هو الله سبحانه وتعالى فالعبد يوقن أن المطعم الكاسي هو الله عز وجل.

فهو الذي تفضل عليكم، قال تعالى: **(يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا) [الأعراف: 26]**

وفي الحديث: **(من أكل طعاما فقال: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة، غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن لبس ثوبا فقال: الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)**

---

(7) صح أكسُكم وأكسِكم بكسر السين وضمها

(فاستكسوني أكسكم) أي: كل واحد منكم في حاجة إلى الطعام والكسوة؛

فاستكسوني: اسألوني الكسوة، الكساء الجميل الظاهر، والكساء الباطن الأجمل: ولباس التقوى ذلك خير [الأعراف: 26]

وخص الطعام والكسوة بالذكر دون غيرهما؛ لأنهما أهم شيء يهم العبد في حياته

قوله :يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار

أي: تفعلون الخطيئة أو الذنب، بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا؛ مهما بلغت ذنوبكم بالليل أو بالنهار لا تيأسوا من طلب المغفرة فإني أغفرها لكم، حتى لو ملأتم الليل والنهار ذنوبا، **قال تعالى: (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده [التوبة: 104]، وقال تعالى: (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى [طه: 82]**

فاستغفروني؛ أي: اطلبوا مني مغفرة ذنوبكم، وأصل الغفر: الستر، وغفرت المتاع: سترته، وغفران الذنب: ستره

ونبينا ﷺ كان يقول **:يا عباد الله استغفروا الله وتوبوا إليه، فإني أستغفر الله في اليوم أكثر من مئة مرة**

ويقول عبد الله بن عمر: كنا نعد لرسول الله في المجلس الواحد أكثر من سبعين مرة :رب اغفر لي وتب عليّ، إنك أنت التواب الرحيم، وفي لفظ :إنك أنت التواب الغفور.

أغفر لكم أي: أستر ذنوبكم وأمح أثرها ولا أؤاخذكم بها.

قوله :يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني

أي: لا يلحقني منكم ضر ولا نفع، فملكي ثابت كامل، لا يزاد بطاعتكم، ولا ينقص بمعاصيكم، وإنما طاعاتكم منفعتها لكم، ومعاصيكم ضررها عليكم؛ قال تعالى: ﴿**من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد**﴾ **[فصلت: 46]**

فهو سبحانه لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، فلو آمن أهل الأرض كلهم جميعاً ما زاد ذلك في ملكه شيئاً، ولو كفروا جميعاً لم ينقص ذلك من ملكه شيئاً.

قال تعالى: (إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ) [إبراهيم: 8] وقال: ﴿وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ [الذريات: 56، 58]

قوله :يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئا.

أتقى قلب رجل واحد قال بعض العلماء هو محمد صلى الله عليه وسلم وهذا مصداقه قول رسول الله: **(أنا اتقاكم لله وأشدكم له خشية)**

وأفجر قلب رجل هو إبليس ولا شك.

وهذا فيه إشارة إلى أن ملكه جل جلاله لا يزيد بطاعة الخلق، ولو كانوا كلهم بررة أتقياء، قلوبهم على قلب أتقى رجل منهم، ولا ينقص ملكه بمعصية العاصين، ولو كان الجن والإنس كلهم عصاة فجرة قلوبهم على قلب أفجر رجل منهم؛ فإنه سبحانه الغني بذاته عمن سواه، وله الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله، فملكه ملك كامل لا نقص فيه بوجه من الوجوه على أي وجه كان.

قوله :يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل واحد مسألته – ما نقص ذلك مما عندي

في صعيد واحد صعيد واحد يعني أرض واحدة مستوية.

والمراد بهذا ذكر كمال قدرته سبحانه، وكمال ملكه، وأن ملكه وخزائنه لا تنفد ولا تنقص بالعطاء، ولو أعطى الأولين والآخرين من الجن والإنس جميع ما سألوه في مقام واحد.

وفي ذلك حث الخلق على سؤاله، وإنزال حوائجهم به؛ قال تعالى: ﴿**ما عندكم ينفد وما عند الله باق**﴾ **[النحل: 96]**

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم ينقص ما في يمينه

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزم المسألة، وليعظم الرغبة؛ فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه.

فلو وقف الجميع يسألون الله: هذا يسأل الله الشفاء، وهذا يسأل الله العافية، وهذا يسأل الله الغنى، وهذا يسأل الله الزوجة، الذرية، العمل، الجنة كل واحد له مسألة.

فسألوني، فأعطيت كل واحد مسألته، ما ينقص ذلك من ملك الله شيئًا **إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر**، وهذا على سبيل المبالغة، لو أنك أدخلت المخيط، المخيط آلة الخياطة، يعني الإبرة، لو أدخلتها في البحر ثم أخرجتها، ماذا تنقص من البحر؟ لا شيء.

قوله: (يا عبادي، إنما هي أعمالكم، أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها)

فإنه سبحانه يحصي أعمال عباده، ثم يوفيهم إياها بالجزاء عليها.

قال تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ [الزلزلة: 7، 8]، وقال تعالى: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا﴾ [آل عمران: 30]

قوله :فمن وجد خيرا؛ أي: ثوابا ونعيما، أو حياة طيبة هنيئة

فليحمد الله تعالى على توفيقه للطاعات والأعمال الصالحة

ومن وجد غير ذلك؛ أي: شرا، فلا يلومن إلا نفسه؛ لأن الله تعالى أوضح الطريق وحذر وأنذر

والمعنى: من رأى نفسه تفعل شرا فلا يعترض إلا عليها؛ حيث إنها آثرت شهواتها ومستلذاتها على رضا خالقها ورازقها، فكفرت بنعمه، ولم تذعن لأحكامه، فاستحقت أن يعاملها بظهور عدله، وأن يحرمها مزايا جوده وفضله، والله أعلم

****

الحديث فيه فوائد كثيرة، ونلحظ فيه جلال وعظمة الله سبحانه وتعالى، واتصافه بالكمال والغنى، واستغنائه عن خلقه جل جلاله ثم نداءه أكثر من مرة :يا عبادي ...كأنه يوقظ فينا حسًا ونداء :يا عبادي، يا عبادي، يا عبادي ...يتردد هذا النداء للفت الأنظار والانتباه إلى كلامه جل وعلا.

أيضًا فيه حاجتنا وفقرنا وانكسارنا إلى الله سبحانه وتعالى، وأن العبد يستعين بربه في كل ما يهمه من أمور الدنيا وأمور الآخرة.

نسأل الله تعالى أن يهدينا صراطه المستقيم،

وأن يثبتنا على الحق إلى أن نلقاه

اللهم آمين

****

الخاطرة (14)

نظر المؤمنين إلى وجه الله الكريم

عن جرير بن عبد الله كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها، يعني العصر والفجر، ثم قرأ جرير {وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها} [طه:130] رواه مسلم

جرير رضي الله عنه يذكر أنهم كانوا جلوسًا حول رسول الله ﷺ، والقمر كان بدرا نظر النبي ﷺ إلى القمر وقال لأصحابه :أما إنكم سترون ربكم كرؤيتكم لهذا القمر ليلة البدر والتشبيه هنا لإمكانية الرؤية، وليس أن الله يشبه القمر، لأن الله **(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)** [سورة الشورى: 11]

والعلماء قالوا إن الرؤية في الدنيا غير ممكنة للبشر، بدليل قول الحق جل وعلا لموسى عليه السلام لما قال **(رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ، قال :لَن تَرَانِي، وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى) [سورة الأعراف: 143]**

(فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًا) اندك الجبل، ومن قوة اندكاكه خر موسى صعقًا أي أغمي عليه فلما أفاق قال **(سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ) [الأعراف: 143]**

والنبي ﷺ قال (إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا)

وتكلمنا في خاطرة سابقة عن حديث: **هل رأى النبي ﷺ ربه؟ قال :نورٌ أنى أراه.**

ومعنى قول النبي ﷺ نورٌ أنى أراه، كما فُصّل في حديث آخر **(حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)**

فالنبي ﷺ لم يرَ ربه، وإنما رأى حجابًا من نور حال بينه وبين الرؤية.

إذًا، فرؤية الله تعالى غير ممكنة في الدنيا أما في الآخرة، فإن الله تعالى يخلق في عباده القدرة على رؤيته وعلى النظر إلى ذاته الكريمة جل جلاله نحن في الدنيا لنا

قوة أبصار محدودة، وهناك أشياء كثيرة لا نراها، والله تعالى قال: **(فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ)** [الحاقة: 38- 39]

على سبيل المثال، معنا الآن في المسجد ملائكة تدعو لنا وتستغفر لنا، ونحن لا نراها، لكن هذه الملائكة سنراها غدًا في الجنة، قال تعالى: **(وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ)** [سورة الرعد: 23-24]

والجن يعيشون بيننا لكننا لا نراهم، وسنراهم غدًا يوم القيامة.

كذلك النظر إلى ذات الله العلي ليس في قوة البشر أن ينظروا إليه جل جلاله في الدنيا، أما في الجنة، فإن الله ينشئنا خلقًا آخر.

وقال تعالى: **(لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ)** [سورة يونس: 26] وقد فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما رواه مسلم عن صهيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم **قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل وهي الزيادة ثم تلا هذه الآية {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة} [يونس: 26].**

فالحسنى هي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم.

وروى البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن يروا ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن.)

ومعنى :لا تضامون في رؤيته

التضام هو الازدحام، يعني كما يحدث أن الناس يريدون رؤية شيء فيزدحمون عليه.

والتشبيه في الحديث – كما ذكرت- هو تشبيه لإمكان الرؤية، أي أننا كما نرى القمر مكتملا ليلة البدر وهو في غاية الوضوح، لا يؤثر كثرة الناظرين إليه على وضوح رؤيته فكذلك يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة بهذا الوضوح والجلاء، وليس المقصود

من الأحاديث تشبيه المرئي بالمرئي – تعالى الله- فإن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

والمعنى هنا أن من كان هنا يرى القمر، ومن كان في مدينة أخرى يرى القمر، وهكذا، فالقمر يراه الجميع بلا تضام ولا ازدحام.

فجميع أهل الجنة سيرون ربهم سبحانه وتعالى بلا تضام ولا ازدحام؛ يخلق الله تعالى فيهم القدرة على رؤيته جل جلاله **(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)** [سورة القيامة: 22-23]

ومن جميل ما يروى عن الشافعي ما ذكره عنه الربيع بن سليمان ـ وهو أحد تلاميذه ـ: قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله عز وجل: **(كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)**؟ فقال الشافعي: لما أن حجب هؤلاء في السخط، كان في هذا دليلٌ على أن أولياءه يرونه في الرضى.

ما تفسير قول الله تعالى :لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ سورة الأنعام: 103؟

للعلماء في تفسيرها قولان:

القول الأول: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ في الدنيا لأنه وعد في القيامة الرؤية بقوله: **﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾** والمطلق يحمل على المقيد، إذن فالمعنى لا تدركه الأبصار في الدنيا، وهو يرى في الآخرة.

القول الثاني: أن الإدراك غير الرؤية؛ لأن الإدراك هو الوقوف على حقيقة الشيء والإحاطة به والرؤية المعاينة، فنفى الإدراك مع إثبات الرؤية، فالله عز وجل يجوز أن يرى من غير إدراك وإحاطة كما يعرف في الدنيا ولا يحاط به، قال الله تعالى: **﴿ولا يحيطون به علما﴾** [طه: 110]، فنفى الإحاطة مع ثبوت العلم.

قال سعيد بن المسيب: لا تحيط به الأبصار، وقال عطاء: كلّت أبصار المخلوقين عن الإحاطة به.

وقوله: (وهو يدرك الأبصار)، أي: لا يخفى على الله شيء ولا يفوته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وحينئذ فتكون الآية دالة على إثبات الرؤية، وهو أنه يرى ولا يدرك، فيرى من غير إحاطة ولا حصر، وبهذا يحصل المدح؛ فإنه

وصف لعظمته أنه لا تدركه أبصار العباد وإن رأته، وهو يدرك أبصارهم، قال ابن عباس – وعكرمة بحضرته – لمن عارض بهذه الآية: ألست ترى السماء؟ قال: بلى، قال: أفكلها ترى؟ (8)

وهذا القول الثاني هو الراجح

أسباب رؤية الله تعالى:

1- **أن يسأل العبدُ ربَّه النظرَ إلى وجهه الكريم: لحديث عمار بن ياسر وفيه دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ومنه: (وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة) الحديث رواه أحمد والنسائي والحاكم**

2- **المحافظة على صلاتي الفجر والعصر: لحديث جرير بن عبد الله الذي تقدم قال: كنا جلوساً مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا** متفق عليه.

والمقصود بهما صلاة الفجر والعصر.

وهنا لطيفة ذكرها أهل العلم بأنَّ السرَّ في أنَّ من حافظ على صلاتي الفجر والعصر رأى وجه الله تعالى، حيث أنَّه يرزقه الله تعالى رؤيته في الجنَّة بُكرة وعشياً، فالجنَّة لا ليل فيها، كما قال تعالى: **{وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً}** [مريم:62]، يعني أنَّه تعالى يُرى في مقدار البكرة والعشي في الدنيا، وذلك لمحافظتهم على صلاة العصر وصلاة الصبح.

****

(8) من مجموع الفتاوى16/88

الخاطرة (15)

اللهم ربنا لك الحمد حمدا ملء السماوات

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع قال: «اللهم ربنا لك الحمد، حمداً ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد» صحيح مسلم.

الشرح:

(اللهم ربنا لك الحمد، حمداً ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما)

هذا الحمد الذي تعلمناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوله بعد الرفع من الركوع، فيه تمجيد لله وثناء عليه بما هو أهله سبحانه وتعالى فهو يحمد الله تعالى حمداً عظيماً.

والحمد، قول، والقول ليس له مادة أو كثافة، لكن من باب المبالغة، لو أن هذا الحمد تجسم وصار كتلةً لها حجم، فإنه من كثرته يملأ السماوات كما يقال لشخص: أنا أحبك كهذه الدنيا، وليس المقصود أن هذا الحب شيء مجسم، بل إشارة إلى كبر هذا الحب وكأنه ملأ الدنيا.

والله تعالى نحمده حمداً لو تجسم وصار له حجماً يملأ مكاناً لملأ السماوات والأرض وما بينهما، كما جاء في قوله: **(ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما)**

(وملء ما شئت من شيء بعد)

ومعنى ذلك أن ما شاء الله مما هو أعظم من السماوات والأرض يدخل ضمن هذا الحمد ملك الله ليس فقط السماوات والأرض، بل الجنة التي عرضها السماوات والأرض، والعرش، والكرسي، والسماوات السبع، والأرضين فقد جاء في الحديث أن السماوات السبع بجانب الكرسي كحلقة في فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة.

ثم يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أهل الثناء والمجد)

وكلمة أهل هنا منصوبة على حذف ياء النداء، أي: يا أهل الثناء والمجد.

وفي السياق، حذف ياء النداء يدل على القرب، مثلما أقول لشخص قريب مني: فلان بدلاً من يا فلان.

وأهل الشيء يعني أحق الناس به، فالله سبحانه وتعالى هو أهل الثناء والمجد، أي أحق من يُثنى عليه ويمجد؛ فعندما نقول لشخص إنه كريم، فإن هذا الكرم نسبي، أما كرم الله فهو بلا حدود، وعندما نقول: يا أكرم الأكرمين، فهذا وصف حقيقي لله تعالى

ولذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم حذر من الإفراط في مدح الأشخاص لئلا يؤدى ذلك إلى هلاكهم فقال: «**فإن كان لابد فاعلاً، فليقل: أَحْسِبُه كذا وكذا**» صحيح مسلم، لأن المدح للبشر قد يكون ناتجاً عن مجاملة أو تملق، أما حمد الله فهو عن يقين واستحقاق.

وقوله: (أحق ما قال العبد):

خبر مبتدأ محذوف؛ أي هذا الكلام أحق ما قال العبد؛ فحمد الله والثناء عليه وتمجيده : أحق ما قاله العبد أي أصدقه وأثبته.

قال النووي في شرح صحيح مسلم: وفي هذا الكلام دليل ظاهر على فضيلة هذا اللفظ فقد أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي لا ينطق عن الهوى أن هذا أحق ما قاله العبد فينبغي أن يحافظ عليه لأن كلنا عبد ولا نهمله وإنما كان أحق ما قاله العبد لما فيه من التفويض إلى الله تعالى ، والإذعان له والاعتراف بوحدانيته ، والتصريح بأنه لا حول ولا قوة إلا به ، وأن الخير والشر منه ، والحث على الزهادة في الدنيا والإقبال على الأعمال الصالحة .

ويقول: (اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت)

وهذا مستنبط من قوله تعالى: **(ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده) [فاطر: 2]**، فإذا شاء الله حياة إنسان، لا يستطيع أحد أن يضره، وإذا شاء الله موت إنسان، لا يستطيع أحد أن يبقيه حيًّا.

فالأنبياء أنفسهم تعرضوا لمحاولات القتل، مثل زكريا ويحيى عليهما السلام، ولكن الله حفظ رسله الآخرين، مثل محمد صلى الله عليه وسلم وإبراهيم عليه السلام

ثم يقول: (ولا ينفع ذا الجد منك الجد)

كلمة الجد هنا لها معانٍ متعددة، مثل: الغنى والحظ.

ومعنى الحديث أن الغنى أو الحظ أو المال لا ينفع صاحبه إذا جاء الموت.

والحظ هنا ليس هو المعنى المتبادر للذهن مثل الحظ العشوائي أو ما يأتي صدفة، بل هو ما قسمه الله لك من رزقٍ وعطاءٍ.

يعني أن الله قسم لكل إنسان نصيبًا من المال، نصيبًا من الصحة، نصيبًا من الأولاد، نصيبًا من الزكاة، ونصيبًا من العلم، وكل هذا يُسمى حظًا، أي نصيبك من هذا الشيء، وهذا هو المقصود بقوله تعالى: **(وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) [فصلت: 35]**

أما الحظ الذي يتبادر للذهن عند كثير من الناس، مثل أن فلانًا محظوظ لأنه حصل على شيء صدفةً، فهذا معنى غير صحيح شرعًا، لأن كل شيء عند الله بمقدار.

فكلمة الحظ في الناحية الشرعية تعني ما قسمه الله لك من نصيب.

ومعنى قوله: (ولا ينفع ذا الجد منك الجد) أي أن الذي أعطاه الله الذكاء، أو المال، أو السلطان، أو الصحة، كل ذلك لا ينفعه إذا جاءه الموت.

إذن، عندنا أكثر من معنى لهذه الكلمة، ويسمى هذا في اللغة العربية جناس، وهو استخدام كلمة واحدة بمعنيين مختلفين في نفس السياق

مثال على ذلك، بعض الشعراء قال:

عضنا الدهر بنابه ** ليت ما حل بنا به حد

ففي الجملة الأولى، عضنا الدهر(بنابه) بمعنى أصابتنا مصائب الزمان، وفي الثانية يقصد بها معنى مختلف تمنى لو كان الذي نزل بهم نزل به.

وكذلك قول أحدهم:

ودارهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم

فهنا استخدام دارهم بمعنيين مختلفين.

في قوله: ولا ينفع ذا الجد منك الجد

المعنى الأول: ذا الجد يعني الشخص الذي أعطاه الله نصيبًا من عطاء سواء مادي كالمال أو معنوي كالعقل والذكاء.

والمعنى الثاني الجد يعني الموت، أي أنه لا ذكاء الإنسان ينفعه، ولا ماله، ولا سلطانه، ولا صحته إذا جاءه الموت، لأنه قدر الله النافذ الذي قهر به عباده

في يوم القيامة: هل الأعمال التي توزن أم الأشخاص؟

احتج بهذا الحديث طائفة من العلماء على أن الأعمال هي التي توزن يوم القيامة، وهي مسألةٌ خلافية بين أهل العلم: هل الذي يوضع في الميزان هو الإنسان نفسه يوم القيامة، وعلى قدر صلاحه وفساده يكون الوزن، أم أن الذي يوزن هو عمله قولاً كان أو فعلاً أو اعتقاداً، أم مجموع الأمرين؟

فقال بعض العلماء: الذي يوزن هو الإنسان نفسه؛ لقوله تعالى: **{فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا}** [الكهف:105]، **ولقوله عليه الصلاة والسلام لما اهتزت الشجرة بـ ابن مسعود فضحك الصحابة من دقة ساقيه: (ما يضحككم من دقة ساقيه؟ والذي نفسي بيده إنهما أثقل في الميزان من أحد)**

فهذا يدل على أن الموزون هو الإنسان نفسه.
وقال بعض العلماء: إن الموزون هو العمل؛ لما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.
فقد دلّ هذا الحديث الصحيح على أن قول الإنسان للذكر هو الموزون، قالوا: فالعمل شامل للقول والفعل، وكله يوزن.

والصحيح أن الإنسان نفسه يوزن وكذلك عمله؛ لأن النصوص وردت بالجميع، والقاعدة تقول: النصوص إذا وردت بأمرين فلا يصح إثبات أحدهما ونفي الآخر إلا بدليل، فكما أن الله أخبر في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بما يدل على أن الإنسان يُوزَن، وأخبر بما يدل على أن العمل يُوزَن فنقول: كلٌّ صحيح، وكلٌّ خرج من مشكاةٍ واحدة، فالإنسان يوزن، وعمله يُوزن .

فقوله عليه الصلاة والسلام: ملء السماوات وملء الأرض دلّ على أن الحمد موزون، وأن له ثقل، فقال في هذا الثقل: **ملء السماوات وملء الأرض** ، وهذا يدل على عظم ما للعمل الصالح من عاقبةٍ، وكونه له أثر في ثقل ميزان العبد يوم القيامة.

****

الخاطرة (16)

الذكر المضاعف: سبحان الله وبحمده عدد خلقه

عن ابن عباس عن جويرية رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى، وهي جالسة، فقال: ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت: نعم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: لقد قلت بعدك أربع كلمات، ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته رواه مسلم

شرح الحديث:

قولها: (ثمّ رجع بعد أن أضحى) فيه حرص النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على المكث في المسجد إلى الضّحى.

قوله: (ما زلتِ على الحال الّتي فارقتك عليها؟) فيه بيان اجتهاد جويريّة بنت الحارث على ذكر الله تعالى، وعبادة الله، وفيه بيان أنّ من العبادات المسنونة: الجلوس لذكر الله بالأذكار المشروعة.

قوله: أربع كلمات :أي أربع جمل.

(لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ) أي في اليوم، لأنّ "منذ " الحرفيّة لها معنيان: معنى من إذا دخلت على ماضٍ، نحو قولك: ما رأيته منذ أمس، وتأتي بمعنى في إذا دخلت على حاضر كهذا الحديث.

قوله: لوزنتهنّ :أي: إنّ الأجر الّذي يتحصّل عليه العبد من ترديد هذه الكلمات ثلاث مرّات يعدل أجر من جلس من الفجر إلى الضّحى وهو يذكر الله تعالى، وهذا أحد وجوه كونها جامعة، فهي شاملة لعظيم الأجور زيادة على شمولها لعظيم المعاني.

سبحان الله :أنزه الله عن كل نقص، فالله جل وعلا لا يغفل ولا ينام ولا يمرض ولا يتعب ولا يضعف ولا يعجز ولا يفتقر، ولا يحتاج إلى ولد أو زوجة ، ولا يظلم مثقال

ذرة ، ولا يغيب عنه شيء ... الخ، مما يعجز اللسان عن إحصائه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)**

وبحمده الحمد هو عكس الذم ، ومعناها أن الله تبارك وتعالى له كل صفات الكمال والجمال والجلال ، فهو سبحانه كامل في ذاته، وصفاته، وأفعاله ، و الحمد وصف المحمود بالكمال مع المحبة، والتعظيم ، لأن مجرد وصفه بالكمال بدون محبة، ولا تعظيم: لا يسمى حمداً؛ وإنما يسمى مدحاً؛ ولهذا يقع من إنسان لا يحب الممدوح؛ لكنه يريد أن ينال منه شيئاً ، كما كان بعض الشعراء يقف أمام الأمراء، ثم يأتي لهم بأوصاف عظيمة لا محبة فيهم؛ ولكن محبة في المال الذي يعطونه، أو خوفاً منهم؛ ولكن حمدنا لربنا عزّ وجلّ حمدَ محبةٍ، وتعظيمٍ

إذن فالتسبيح تنزيه الله عن النقص، والحمد لله وصف الله بالكمال.

سبحان الله وبحمده: هي كقولنا: سبحان الله والحمد لله فهي تعني الجمع بين التسبيح والحمد، إما على وجه الحال، أو على وجه العطف، والتقدير: أسبح الله تعالى حال كوني حامدا له، أو أسبح الله تعالى وأحمده.

عَدَدَ خَلْقِهِ ولا ينحصر عدد الْخَلْق في الْخلائق الموجودة في زمن مُعيّن، بل في جميع الأزمنة، لأن ذلك يشمل كل الْخَلْق.

ولا يشمل صِنْفًا واحدًا مِن الخلائق، بل هو عام في كل خَلْق من إنس وجنّ، وملائكة، وجميع الدوابّ صغيرها وكبيرها وكل ما خلق الله تعالى!
والمقصود: تَنزِيه الله بِعدد ما خَلَق.

قوله: رضا نفسه: وفي رواية الإمام أحمد **رضاء** أي أسبّحه تسبيحا هو في العظمة والجلال مساو لرضا نفسه، ولا شك أن ما يرضاه الله لنفسه لا نهاية له في العظمة والوصف والتسبيح؛ فإذا كانت أوصاف كماله ونعوت جلاله لا نهاية لها ولا غاية، بل هي أعظم من ذلك وأجل كان الثناء عليه بها كذلك.

قوله وزِنَةَ عَرْشِهِ العرش هو أعظم المخلوقات، وعليه استوى ربنا استواءً يليق بجلاله، قال تعالى: **{فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم}**

[المؤمنون: 116]، قال ابن كثير رحمه الله: هو رب العرش الكريم أي: هو مالك كل شيء وخالقه؛ لأنه رب العرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات، وجميع الخلائق من السماوات والأرضين وما فيهما وما بينهما تحت العرش مقهورين بقدرة الله تعالى، وعلمه محيط بكل شيء، وقدره نافذ في كل شيء، وهو على كل شيء وكيل.

وقال تعالى {ذو العرش المجيد} [البروج / 15] قال ابن كثير رحمه الله: ذو العرش أي: صاحب العرش العظيم العالي على جميع الخلائق، والمجيد فيه قراءتان: الرفع على أنه صفة للرب عز وجل، والجر على أنه صفة للعرش، وكلاهما معنى.
صحيح تفسير ابن كثير 4 / 474

وفي الحديث: (مَا السَّمَاوَات السَّبْع فِي الكُرْسِيّ إلاَّ كَحَلْقَة فِي أرْض فَلاة، وفَضْل العَرْش على الكُرْسِيّ كَفَضْل تِلك الفَلاة على تِلك الْحَلْقَة) رواه ابن أبي شيبة

وللعرش حملة يحملونه قال تعالى: **(الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم) [غافر: 7]**

وهم على خِلقة عظيمة عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أُذِن لي أن أحدِّث عن ملَك من ملائكة الله من حملة العرش، إنَّ ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام) رواه أبو داود وقال ابن حجر: إسناده على شرط الصحيح.

فمعنى وزنة عرشه تَنزِيه للرحمن بِقَدْر أعظم المخلوقات، أي: أُسَبِّحُه وأحْمَده بِثُقْل عَرْشه.

قوله ومِدَادَ كَلِمَاتِهِ وهذا تنْزِيه للبارئ جلّ جلاله مثل مِداد كلماته، والمداد: الحبر الّذي يكتب به، قال تعالى: **(قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا) [الكهف 109]**

قال ابن كثير في تفسيره فقال: يقول تعالى: قل يا محمد: لو كان ماء البحر مداداً للقلم الذي يكتب به كلمات الله وحكمه وآياته الدالة عليه، لنفد البحر قبل أن يفرغ كتابة

ذلك، ولو جئنا بمثله أي بمثل البحر آخر، ثم آخر وهلم جرا بحور تمده ويكتب بها، لما نفدت كلمات الله.

وقال تعالى: وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [لقمان:27]

وقال الربيع بن أنس: إن مثل علم العباد كلهم في علم الله كقطرة من ماء البحور كلها، وقد أنزل الله ذلك: قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي يقول لو كانت تلك البحور مداداً لكلمات الله، والشجر كله أقلام لانكسرت الأقلام، وفني ماء البحر، وبقيت كلمات الله قائمة لا يفنيها شيء، لأن أحداً لا يستطيع أن يقدر قدره، ولا يثني عليه كما ينبغي حتى يكون هو الذي يثني نفسه، إن ربنا كما يقول وفوق ما نقول، إن مثل نعيم الدنيا أولها وآخرها في نعيم الآخرة كحبة من خردل في خلال الأرض كلها.

والمقصود بـكلمات الله كلامه الذي تكلم به مع رسله وكلامه الذي أنزله في كتبه وهو سبحانه يتكلم متى شاء وبما شاء

قال العلماء: ومعنى هذا أنه لو فرض البحر مداداً وبعده سبعة أبحر تمده كلها مداداً وجميع أشجار الأرض أقلاماً لفنيت البحار والأقلام وكلمات الرب لا تفنى ولا تنفد، واستعماله هنا للمبالغة، وإلاّ فإنّ كلمات الله تعالى لا تحصر بعدّ ولا غيره، لأنّه ذكر أوّلا ما يحصره العدّ الكثير من عدد الخلق، ثمّ زنة العرش، ثمّ ارتقى إلى ما هو أعظم من ذلك، وعبر عنه بهذا، كأنّه قال: ما لا يحصيه عدٌّ، كما لا تحصى كلمات الله تعالى

فسبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته

وقد تضمّن هذا الحديث تَنْزِيه الله عزَّ وَجَلّ بأكثر العدد، وهو عدد الْخَلْق، وأثقل الأوزان، وهو وزْن العَرش وأكثر الأشياء، وهو مِداد الكلمات تَنْزيهًا يَليق به سبحانه وتعالى حتى يَرْضَى.

****

الخاطرة (17)

شرح حديث: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي

عن أبي هريرة رضي الله عنه فيما يبلغ رسول الله عن رب العزة جلَّ وعلا، يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما عذَّبته أو قذفته في النار) رواه الإمام مسلم في صحيحه

ما معنى هذا الحديث؟

الرداء: هو الثوب الذي تستر به الجزء الأعلى من البدن.

الإزار: ما تستر به النصف الأسفل، مثل ملابس الإحرام: إزار ورداء.

فإذا لبست إزارًا ورداءً، هل يشاركك فيهما أحد؟

هل يمكن لشخصين أن يلبسا ثوبًا واحدًا أو عباءة واحدة؟

لا يمكن ذلك؛ فكما أنه لا يشاركك في إزارك ورداءك أحد، فإن الله -تبارك وتعالى- لا يشاركه في كبريائه وعظمته أحد.

فالمعنى هنا معنى مجازي كما قال العلماء، ولا يتصور على الحقيقة أن الله له إزارًا من كبرياء أو رداءً من عظمة، هذا غير متصور في اللغة، ولا في الواقع.

فالمقصود هنا أن هاتين الصفتين لا تليقان بأحد إلا الله عزَّ وجل، والمخلوق إذا تكبَّر وتعالى فإن الله يضعه، أي يحقّره، ويجعل شأنه في أسفل سافلين، وإذا تواضع لله تعالى رفعه.

ما معنى اتصاف الله بصفة الكبرياء؟ ولم كانت هذه الصفة في حقه كمالاً، وفي حق البشر نقصًا؟

لأن الله عزَّ وجل متفرّد بالكبرياء والعظمة، فلا يليق بك أيها المخلوق الضعيف أن تتصف بما اتصف به الله سبحانه وتعالى.

معنى المتكبر، ومعنى الكبرياء ومعنى العظمة:

معنى اسم الله المتكبر :المتكبر اسم فاعل للموصوف بالكبرياء وهو المتعالي عن

صفات الخلق المتفرد بالعظمة والكبرياء، فلا عظمة ولا كبرياء إلا لذاته وكل الخلق له عبيد وهو العظيم القاهر لعتاة خلقه والذي تكبر عن كل سوء وعن ظلمه لخلقه وتكبر عن قبول الشريك والولد وأن يشرك في العبادة غيره.
وعلى هذا يشمل معنى المتكبر والكبير :

1- الذي تكبر عن كل سوء وشر وظلم.
2- الذي تكبر وتعالى عن صفات الخلق فلا شيء مثله.
3- الذي كبر وعظم فكل شيء دون جلاله صغير وحقير.
4- الذي له الكبرياء في السماوات والأرض أي: السلطان والعظمة.

وعلى هذا فالمقصود في الحديث :تنزُّه الله عن كل شر، وتنزُّه الله عن كل نقص، وتنزُّه الله عن الظلم جلَّ جلاله.
قد يصدر من بعض الناس فعلاً أو قولاً يُقبل منه أو يُعتذر عنه، وقد يصدر نفس الفعل ونفس القول من شخص آخر فلا يُغتفر له؛ فكلمة رئيس أو ملك تختلف عن كلمة رجل من عامة الشعب.

الرئيس أو الملك كلمته مسؤولة، والوزير تصريحه مسؤول، فهو يمثل دولة ويمثل حكومة؛ فلما يحدث خطأ، هذا الخطأ لا يليق أن يصدر من رجل في مكانته لأنه يمثل أمة بأكملها، لكن إذا صدر هذا الخطأ من صحفي أو كاتب، سيكون ردة الفعل مختلفة.

وقد تُقبل كلمة من طفل صغير لكنها لا تُقبل من رجل كبير، وقد تُقبل كلمة من ساقط تافه، لكنها لا تُقبل من عالم أو شيخ.
أقصد أن بعض الأمور إذا خرجت من شخص لا تليق به تقلل منه.

مثال أبي سفيان:
أبو سفيان قبل أن يسلم كان في تجارة إلى الشام وجاءت هرقل رسالة من الرسول: أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين فأراد أن يسأل عن النبي ويستفسر، فطلب من حاشيته أن يأتوا له بأحد من العرب، فجيء بأبي سفيان ومن معه باعتبار أنه كان كبير أو زعيم التجار من قريش... فقال هرقل للترجمان: قل لهم إن كذب علي فكذّبوه.

ومن المؤكد أن العرب الذين مع أبي سفيان لن يكذبوه عصبية، لأن العربي طبيعته هكذا قبل الإسلام: **انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا على حقيقته**، يعني ظالمًا تُعينه على الظلم، مظلومًا تدفع عنه الظلم طبعًا الإسلام عدّلها: إن كان ظالمًا تأخذ على يده

فهو على يقين أنهم لن يكذبوه، لكن هنا الشاهد يقول: فوالله، لولا أن يجربوا على كذبًا، لكذبت!!

أراد أبو سفيان أن يحافظ على مكانته، لأنه لا يليق به وهو زعيم وسيد من سادات مكة أن يُنقل عنه أنه قد كذب.

هذا الذي أقصده :الله تنزه عن الظلم لأن له الكبرياء؛ والظلم يقع بأحد أمرين:

1- أن يأخذ أحد ما ليس له، لكن رب العالمين له ما في السماوات وما في الأرض.
2- أو أن يمنع ما عنده، والله عزَّ وجل لا تنفد خزائنه.

إذاً فالله جل في علاه تكبَّر وتعالى عن الظلم، وتكبَّر وتعالى عن النقص.

الله لا ينام:

هل يعيبك كبشر أنك تنام؟ هل هذه صفة سيئة فيك؟ كلا فأنت إنسان طبيعي هل يعيبك أنك تأكل وتشرب؟ كلا.

ولذلك كان من العجب قول المشركين: **(مالِ هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق) [الفرقان: 7]** أنتم تريدونه ماذا؟ إنه بشر يأكل ويشرب، يمرض ويصحّ فلا يعيبني كبشر أن أنام، ولا يعيبني أن آكل، ولا يعيبني أن أمرض، ولا يعيبني أن أغضب، ولا يعيبني أن أضحك...الخ.

لكنه لا يليق بالله أن ينام فهو سبحانه: **(لا تأخذه سنة ولا نوم) [البقرة: 255]** فتعالى وتكبر وتعاظم عن أن ينام أو حتى تأخذه سنة (بكسر السين) غفلة.

تعالى وتكبر عن أن يصيبه أعياء، أو أن يصيبه مرض، أو أن تصيبه آفة، أو أن تصيبه شيخوخة، أو أن يتخذ صاحبة، أو أن يكون له زوجة، أو أن يكون في حاجة إلى ولد؛ جلَّ جلاله وتنزه عن كل ذلك.

لكن هذا بالنسبة لنا نحن البشر من مكملات البشرية: بحاجة إلى الزوجة، والمرأة تحتاج إلى زوج، والشوق واللهفة إلى الإنجاب، ويكون عندك ذرية وأولاد؛ لكن هذا لا يليق بالله.

الكبرياء والعظمة لا يليقان إلا بالله:

إذن الله جل جلاله من صفاته الكبرياء والعظمة في التفرد، فهو متفرد بالوحدانية، لا يرضى معه شريك، وهو متنزه عن الظلم، فلا يتصف به أبدًا: **(إن الله لا يظلم مثقال ذرة) [سورة النساء: 40]**

وهو متنزه عن النقص، فلا يتصف بمرض، ولا كِبر، ولا عياء، ولا جوع، ولا عطش، إلى آخره.

وهو متنزه عن الشهوة، فلا يحتاج إلى زوجة، ولا يشتهي ولدًا، ولا يشتهي مالًا هو متنزه عن ذلك سبحانه وتعالى.

ولذلك، تقرأ في الآية: **(فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين * وله الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم) [الجاثية: 36-37]**

(اقرأ وربك الأكرم) [سورة العلق: 3]

في اللغة العربية أفعل التفضيل: عندما تفاضل بين شيئين، تقول: فلان أكبر من فلان، أو فلان أصغر من فلان، أفعال التفضيل هنا تفيد المقارنة بين شخصين، وحينما تأتي المقارنة بدون مقابلة، مثل: **(اقرأ وربك الأكرم)** أكرم ممن؟ طالما أُطلقت الصفة، فهذا يعني أنه أكرم من كل كريم يخطر ببالك.

ما معنى الله أكبر؟

الله أكبر من كل شيء يخطر ببالك أنت، ما هو أكبر شيء في بالك؟

أكبر شيء مرئي أو متصور؟ ربما الجبل، مثلًا، من المخلوقات العظيمة هل الجبل أكبر أم الله؟ كلا فلا وجه للمقارنة أصلًا.

السماوات السبع والأرضين السبع هذه كلها، كما ورد في الأثر، كخردلة في كف الرحمن.

ولذلك، أنا أقول: الله أكبر وأسكت لماذا؟ لأنه أكبر بإطلاق، لا مثيل ولا ند له.

وصدق الشاعر الذي قال:

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصا؟

لما تقارن بين سيف وعصا، وتقول إن السيف يقطع أكثر من العصا، أنت لا تفهم في التشبيه!! ما الذي جلب العصا للسيف؟ العصا تؤلم، لكنها لا تقطع، بينما السيف يقطع

فقال: إنك، عندما تقارن السيف بالعصا، أنت تُنقص من قدر السيف، لأن المقارنة هنا لا وجه لها، فأنا عندما أقول: أيهم أكبر؟ أقول لك: الله أكبر من كل شيء.

أيفُرِّك أن يُقال: الله أكبر؟

ولذلك، في الحديث، لما جاء عدي بن حاتم – وعدي كان نصرانيًا – وجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليسلم، النبي أجلسه وأكرمه، ثم بدأ يحاوره

قال: ما يُفَرِّك يا عدي؟ يعني: ما الذي يجعلك تهرب مني؟

قال: ما يُفَرِّك يا عدي؟ أيفُرِّك أن يُقال: لا إله إلا الله؟

فهل تعلم من إله سوى الله عز وجل؟ قلت له: لا

قال: أيفُرِّك أن يُقال: الله أكبر؟ فهل هناك أكبر من الله؟ أهناك شيء أكبر من الله؟

قلت له: لا

إذاً، ليس هناك أكبر من الله، ولا أعظم، ولا أجل من الله.

يقول الإمام ابن القيم عن معنى التكبير: «فالله سبحانه أكبر من كل شيء، ذاتًا وقدرًا وعزة وجلالة، فهو أكبر من كل شيء في ذاته وصفاته وأفعاله كما هو فوق كل شيء وعال على كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجل من كل شيء في ذاته وصفاته وأفعاله.» [9]

(9) الصواعق المرسلة 1379/4.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (في قول "الله أكبر" إثبات عظمته، فإن الكبرياء يتضمن العظمة، ولكن الكبرياء أكمل، ولهذا جاءت الألفاظ المشروعة في الصلاة والأذان بقول "الله أكبر" فإن ذلك أكمل من قول الله أعظم.)

الله أكبر كلمة جمعت الخير ففيها الشهادة لله تعالى بأنه أكبر من كل شيء وأنه سبحانه أجل من كل شيء وأنه تعالى أعظم من كل شيء.

فهو الكبير في ملكه، الكبير في رحمته، الكبير في عطائه، الكبير في غناه، الكبير في بسطه، الكبير في عزه ، الكبير في عفوه.

والكبرياء صفة، والعظمة صفة، وهذه الكلمات التي فيها الجلال، لأن هذا هو اللائق بالله سبحانه وتعالى.

لا يليق بالبشر، وهو ضعيف، فيه ما فيه من الآفات والحاجات والشهوات، أن يتعالى أو يتكبر.

لا يليق بالبشر، وهو ضعيف فيه ما فيه من الآفات والحاجات والشهوات، أن يتعالى أو يتكبر؛ لأن هناك الكثير والكثير من أمثاله.

يعني لو أن شخصا فُضّل في علم كذا، طيب هناك من هو أعظم مني، ولو أنا قوي، أقوى واحد في كذا، سيأتي وقت يكون فيه الأقوى مني، فهناك أقوى وأعلم وأكبر وأغنى، ولذلك، جعل الله دائمًا في عالم الإنس والجن ما من شيء إلا وهناك شيء أعلى منه وأكبر.

حق على الله ألا يرفع شيئًا إلا وضعه:

ناقة النبي صلى الله عليه وسلم اسمها القَصْواء وكانت سريعة جدًا، وكان عندهم سباق، وهو المعروف الآن بسباق الهجن سباق الجمال.

فالصحابة كانوا يفرحون بالنبي صلى الله عليه وسلم ويفرحون بكل شيء يخص النبي

ففي أحد السباقات، وكانت ناقته لا تُسبَق، سُبِقت القَصْواء، أي هُزِمت!!

فحزن الصحابة أن ناقة النبي صلى الله عليه وسلم، لم تفز!! وكيف تُسبق؟

فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يُعلمهم، فقال: حق على الله ألا يرفع شيئًا إلا وضعه

سُنَّة التداول، لا يبقى القوي قويًا، ولا الضعيف ضعيفًا، ولا الغني غنيًا، ولا الفقير فقيرًا، هناك تغيّر دائم، في الدنيا، في عالم الإنس والجن.

دنيا ذات أغيار: الصغير يكبر، والكبير يشيخ ثم يموت، والضعيف يقوى، ثم بعد أن يقوى يضعف هذه سُنَّة ربنا سبحانه وتعالى.

الله تعالى لا تصيبه الأغيار:

يعني، لا نقول إنه كان فقيرًا فاغتنى، أو إنه كان ضعيفًا فَقَوِيَ، ثم بعد القوة يضعف جل جلاله، حاشاه جل جلاله

إذاً، فلا وجه عندي أنا كبشر أن أتكبر وأتكبر على ماذا؟

ماذا أملك؟ ماذا بيدي؟ ما من شيء أملكه إلا ويشاركني فيه ملايين البشر، وهناك من هو أفضل مني وأحسن مني حالًا.

إذاً، أنا كبشر، الصفة الملتصقة بي أن أتواضع لله خالقي، الذي منحني ما منح ووهبني ما وهب، فكلما تواضعت له رفعني، وكلما تعاليت وتكبرت وضعني.

سيد المتواضعين لله:

ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي رفع الله درجته، وهو خير من خلق الله، ولا رتبة أعلى من ذلك، فهو خير خلق الله بإطلاق، سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان إذا جلس يجلس على الأرض ويقول: (**إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد)**

ولما رآه رجل – وكان النبي صلى الله عليه وسلم ذا هيبة – ارتعدت فرائصه أي ارتعش، فقال: (هون عليك إنما أنا ابن امرأة من مكة كانت تأكل القديد)

والقديد هو اللحم الذي كانوا يعملونه شرائح ويجففونه في الشمس حتى يُحفظ، والأغنياء كانوا يأكلون اللحم طازجًا مذبوحًا حديثًا، أما الفقراء فكانوا يأكلون اللحم المقدد الناشف.

فقال له: هون عليك، أنت خائف من ماذا؟ أنا أمي امرأة من مكة، امرأة من سائر الناس، كانت تأكل القديد، أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يهون على الرجل الذي أصابته هيبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فاتحًا، منتصرًا، وحوله عشرة آلاف من جند الله، وكان يركب الناقة، يقول الرواة: فَوَضَع النبي أو حني رأسه حتى كادت ذقنه أن تمس الرحل، إجلالًا لله وتواضعًا.

قائد منتصر يرجع إلى قومه بعشرة آلاف جندي، وهو الذي خرج بالأمس ومعه أبو بكر والدليل عبد الله بن أريقط فقط، خرجوا متخفيين.

الآن يدخلها مع عشرة آلاف جندي؛ فحتى لا يرى في نفسه شيئًا، حني رأسه إجلالًا لله، وهو يدخل مكة، بلد الله الحرام.

إذاً، فخير خلق الله، خير البشر، خير العالمين، صلى الله عليه وسلم، يقول عن نفسه: إنما أنا عبد لا يتكبر ولا يتعالى.

فالله عز وجل يقول: (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما) من أراد أن يتصف بصفة من صفات الله، فإن الله يجعل عقوبته النار:

(قذفته في النار)، قذفته في النار بمعنى أن الله لا يقبل ندًا له في كبريائه وعظمته، فمن تعاظم أو تعالى أو تجبر وضعه الله سبحانه وتعالى.

ولنا العبرة في فرعون، لما قال: ما علمت لكم من إله غيري، وقال: أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي؟، فأجراها الله من فوقه؛ أغرقه الله، وغرق هو وجنوده، ولم يكن له حول ولا قوة.

ولذلك، لو نظرت بهذه النظرة، أن أي عظيم في هذه الدنيا أو في التاريخ كله هو بشر مثلك؛ عظمته نسبية، مسببّة فهو عظيم بماله انزع المال، صار لا مال له.

ملك، انزع التاج والسلطان والحاشية والجنود، صار بشرًا عاديًا، مثله مثل بقية الناس.

الكبر ينافي حقيقة العبودية:

وأول ذنب عُصي الله به هو الكبر، وهو ذنب إبليس حين أبى واستكبر وامتنع عن امتثال أمر الله له بالسجود لآدم، ولذا قال سفيان بن عيينة: من كانت معصيته في شهوة فارجُ له التوبة، فإن آدم عليه السلام عصى مشتهياً فغُفر له، ومن كانت معصيته من كِبْر فاخشَ عليه اللعنة، فإن إبليس عصى مستكبراً فلعِن.

فالكبر إذاً ينافي حقيقة العبودية والاستسلام لرب العالمين، **قال سبحانه: {سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق} [الأعراف 146]، وقال سبحانه: {إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين} (غافر: 60)**

وثبت في الصحيح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)

من تواضع لله رفعه:

والصفة التي ينبغي أن يكون عليها المسلم هي التواضع، تواضعٌ في غير ذلة، ولينٌ في غير ضعف ولا هوان، وقد وصف الله عباده بأنهم يمشون على الأرض هوناً في سكينة ووقار غير أشرين ولا متكبرين، وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد)**
وكان يقول: (ألا أخبركم بمن يحرم على النار ، أو بمن تحرم عليه النار ، على كل قريب هين سهل) رواه الترمذي

نسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم إلى ما يحب ويرضى،

وأن يثبتنا على الحق إلى أن نلقاه

اللهم آمين.

الخاطرة (18)

أَلَا تُحدِّثونَ بأعجبِ شيءٍ رأيتُم بأرضِ الحبشَةِ؟

روى ابن حبان عن جابر بن عبد الله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا تحدثون بأعجب شيء رأيتم بأرض الحبشة؟ فقال فتية منهم: يا رسول الله بينا نحن جلوس إذ مرت علينا عجوز من عجائزهم تحمل قلة من ماء، فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها، ثم دفعها على ركبتيها، فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت فقالت: سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي، وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، أتعلم أمري وأمرك عنده غدا فقال رسول الله: صدقت، كيف يقدس الله قوما لا يؤخذ لضعيفهم من قويهم؟

هذه القصة يرويها لنا جابر رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم سأل الصحابة الذين كانوا في الحبشة، ونحن نعلم أن الصحابة هاجروا قبل الهجرة إلى المدينة إلى الحبشة، ودائمًا في الأسفار تكون هناك مواقف فيها عظات وعبر

فطلب النبي صلى الله عليه وسلم من صحابته أن يذكروا له شيئًا فيه عبرة، فقال: حدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة.

فذكروا أن عجوزًا من عجائز رهبانهم، أي اللاتي انقطعن للعبادة، كانت تمشي وتحمل قلّة، وهي الجرة أو الوعاء من الفخار الذي يُملأ بالماء فكانت تحمل قلّتها على رأسها وتمشي، ومرّت ببعض الشباب الذين لعلهم أرادوا العبث أو الضحك، فقام أحدهم فوضع يديه بين كتفيها ثم دفعها بقوة، ولأنها عجوز ضعيفة، فبسبب قوة دفعها وقعت على ركبتيها وانكسرت قلّتها.

أراد هذا الشاب أن يضحك ويثبت قوته أنه شاب متمكن، لكنه آذاها

فقالت له هذه الكلمة التي صدّقها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي غدر! يا أيها الغدار سوف تعلم حينما يضع الله الكرسي ويجمع الأولين والآخرين، وينطق الله تعالى بقدرته الأيدي والأرجل فتشهد بما فعلت، كيف يكون أمري وأمرك غدًا

أي أنها كانت تقول: أنا ضعيفة الآن، لا حول لي ولا قوة، ولن أستطيع أن آخذ حقي منك، إنما سيأخذ حقي منك رب العالمين يوم الحساب.

هذه المرأة قالت هذه الكلمة، وطبعًا لا شك أن الإنجيل فيه بقايا من الحق من كلام المسيح عليه السلام.

وهي لم تعلم هذا من عند نفسها، بل نقلت ما عرفته من دينها، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: صدقت، صدقت.

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: كيف يُقدّس الله أمةً لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم؟
يُقدّس: يعني يُعظّم.
كيف يجعل الله لهذه الأمة قدرًا أو مكانة، حينما يُهضَم حق الضعيف، ولا يُؤخذ من شديدهم لضعيفهم؟

العبرة من القصة:

هذه القصة تتحدث عن عظمة الله جل وعلا، وتجيب على سؤال يتكرر كثيرًا :إذا كان هناك من يظلم، ويعتدي، ويقتل، ويتجبر، ويفعل ما يشاء، هل لهذا الأمر من حد ونهاية؟

والجواب :إن الله تعالى لم يجعل الدنيا دار النهاية أو دار الجزاء، فالدنيا دار ابتلاء، وكلنا فيها مبتلًى، منا من يُبتلى بقوته، ومنا من يُبتلى بضعفه، ومنا من يُبتلى بغناه، ومنا من يُبتلى بفقره.

ومعنى أن الدنيا دار ابتلاء :أنك لن تأخذ جزاءك الكامل، ولا عقابك الكامل في الدنيا

؛ قد يكون هناك بعض الجزاء أو بعض العقاب، لكن لا يكون هناك توفية كاملة للثواب أو العقاب إلا يوم القيامة، قال الله تعالى: **(وإنما تُوفَّون أجوركم يوم القيامة)** [آل عمران: 185]

أمثلة لتوضيح العدل يوم القيامة:

1. القاتل في الدنيا:

- إذا قتل أكثر من شخص ظلما هل سيعدم بعدد من قتل؟
- بل في كثير من قوانين الدول الأوروبية لا توجد عقوبة الإعدام.
- إذا قتل رجل شخصًا بريئًا، قد يُحكم عليه بالسجن مدى الحياة، لكنه يأكل ويشرب، ويمارس الرياضة، وربما يحصل على شهادات.
- كيف يتحصل القتيل على حقه؟ هذا سيكون يوم القيامة.

2. المظلوم الذي لا يثبت حقه في الدنيا:

- قد يكون هناك من ظلمه ولم يستطع إثبات أنه مظلوم، لأن الظالم جاء بمحامٍ أو مستندات باطلة
- من الذي سيُوفّي المظلوم حقه؟ الله سبحانه وتعالى يوم القيامة.

عدل الله التام:

النبي صلى الله عليه وسلم كان معه أبو ذر يومًا، فرأى شاتين تنتطحان فقال له :أتدري يا أبا ذر فيما تنتطحان؟
قال أبو ذر: لا أدري
قال النبي صلى الله عليه وسلم: لكن الله يدري وسيقضي بينهما يوم القيامة.)

وفي حديث آخر قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لتُؤَدَّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يُقاد للشاة الجلحاء التي لا قرون لها من الشاة القرناء)

معنى ذلك :حتى الحيوانات غير المكلفة سيُقام بينها العدل يوم القيامة، فكيف بالبشر؟

إذا كان عدل الله سيُقام بين البهائم التي لا تعقل، فعدل الله التام سيكون بين الجميع

نصيحة النبي صلى الله عليه وسلم:

ولذلك أوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم) :من كانت له مظلمة عند أخيه من عرض أو مال، فليتحلله منه قبل ألا يكون دينار ولا درهم)
وقال :(أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس من لا درهم له ولا متاع

فقال :المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وضرب هذا، وأخذ مال هذا فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، حتى إذا فنيت حسناته، أُخذ من سيئاتهم فطُرحت عليه، ثم طُرح في النار)

خاتمة:

- إذا عمّ الظلم في أمة، كان ذلك مؤذنًا بخرابها وزوالها.
- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ويهدم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة.
- والمقصود هنا: إذا كان الحاكم ظالمًا وهو مسلم، فإنه لم ينفع الناس بإسلامه، فإذا شاع الظلم في أمته، كان ذلك مؤذنًا بانهدام هذه الأمة وخرابها، أما إذا كانت أمة كافرة يُقام فيها العدل، فإن ذلك يكون مؤذنًا بدوامها.

هذا معنى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو يُخبر عن سنة جارية من سنن الله عز وجل

ويشهد لكلمته هذا الحديث: **كيف يُقدِّس الله أمة لا يُؤخذ لضعيفهم من شديدهم؟**

نسأل الله أن يقينا الظلم، فإنه ظلمات يوم القيامة،

وأن يجعلنا من أهل القسط والعدل،

وأن يُباعد بيننا وبين كل ما يُغضب الله سبحانه وتعالى

اللهم اجعلنا هداةً مهتدين، لا ضالين ولا مضلين
اللهم آمين

****

الخاطرة (19)

سُبحانَ ذي الجبَروتِ والملَكوتِ والكِبرياءِ والعَظَمةِ

عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة، فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ، قال: ثم ركع بقدر قيامه، يقول في ركوعه: سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة، ثم قال في سجوده مثل ذلك رواه أبو داوود

كان النبي صلى الله عليه وسلم يردد هذا الذكر، خاصة في قيام الليل:

سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة

وصلاة عوف بن مالك مع النبي صلى الله عليه وسلم هي إحدى صلوات الصحابة معه، لأن هناك عدد كبير من الصحابة صلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل في جماعة، كابن عباس وحذيفة وغيرهم، رضوان الله عليهم أجمعين.

هنا النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة البقرة في قيامه، يعني في ركعة واحدة قرأ سورة البقرة.

وسورة البقرة، لو أن القارئ أسرع في تلاوتها، ربما يقرأها في خمسين دقيقة تقريبًا...سبحان الله، فما بالنا بالنبي صلى الله عليه وسلم يقرأها بتأنٍ، وإذا مر بآية رحمة سأل الله من فضله، وإذا مر بآية عذاب تعوّذ بالله من عقابه، وهكذا.

إذاً لو فرضنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قام بسورة البقرة في ساعة إلا ربع تقريبًا، ثم ركع، فكان ركوعه مثل قيامه سبحان الله!!

وهذه لا يقوى عليها الكثير الركوع ساعة أو ساعة إلا ربع، هذا شيء عجيب جدًا ثم قال في سجوده نحو ذلك.

وهذا كله، إشارة إلى عبودية النبي صلى الله عليه وسلم لربه، واشتياقه للوقوف بين يدي الله عز وجل وهو الذي كان يقول لبلال رضي الله عنه عندما يقيم الصلاة:
(أرحنا بها يا بلال)، وكان يقول: (وجُعلت قرة عيني في الصلاة)

ما معنى هذا التسبيح؟

ترديد النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الذكر كثير جدًا، إنما هو من باب تعظيم الله وإجلاله سبحانه وتعالى: **سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة**

فكان النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا هو اللائق بحاله، يرددها ويتدبرها ويتفكر فيها: **سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة**

وكما قلنا من قبل، معنى تسبيح الله هو تنزيه الله عن كل نقص فمعنى سبحان الله هو أن أنزهه عن كل نقص وشر وعيب.

ثم وصف الله عز وجل بقوله: سبحان ذي الجبروت

ذي في اللغة تعني صاحب أو مالك الشيء نقول: ذو مال، ذو عيال

ذي الجبروت:

الجبروت مأخوذة من الفعل "جبر" وله ثلاث معانٍ:

1. **الجبر بمعنى الإصلاح والجبر:**
   نقول: جبر الله مصابكم، أو جبر الله بخاطرك.
   فجبر يعني أصلح الكسر حتى في كلامنا نقول: الجبيرة التي تُستخدم لجبر الكسر.
   فالله تعالى يجبر قلوب المنكسرين والمحرومين والداعين له، فلا يردهم خائبين.
2. **الجبر بمعنى القهر:**
   سلطان الله أي قهر الله عز وجل أي أن الله عز وجل قهر العباد، فكلهم يدينون له بالعظمة والجلال، وكلهم متصفون بالعبودية.
   عبودية القهر تعني أن كلنا مقهورون لله سبحانه وتعالى.
3. **الجبر بمعنى العلو:**
   العرب تقول عن النخلة إذا كانت عالية: نخلة جبّارة، أي عالية مرتفعة

والمقصود هنا أن الله جل وعلا له صفة العلو هو سبحانه الأعلى: **(سبح اسم ربك الأعلى)** [الأعلى: 1] وسمى نفسه الكبير المتعال.

والملكوت :

مبالغة من الملك، والمعنى أن الله تعالى مالك كل شيء.

المالك هو السيد المتصرف قال الله تعالى: **(قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) [آل عمران: 26]**

فائدة لغوية:

مادة (م ل ك) تُنطق فيها الميم على وجوه ثلاثة: الفتح والضم والكسر:

- ملك بالكسر: هو كل ما في حوزتك وتتصرَّف فيه.
- وبالضم: هو التصرّف في ملك مَنْ يملك، وهو المعروف في نظام المملكة.
- وبالفتح الإرادة مثل قوله تعالى: **(مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا)** [طه: 87] يعني: بغير إرادتنا.

أما اللام في ملك فتأتي بالفتح والكسر:

- بالكسر مِلك، وهو مَنْ يُملَّك في غيره في تصرفه وفي إرادته.
- وبالفتح ملك وهو المخلوق من الملائكة.

الكبرياء والعظمة:

الكبرياء صفة كمال لله عز وجل، وهي تعني أنه سبحانه متعالٍ عن كل ظلم وكل سوء وكل شر.

الله تعالى لا يليق بجلاله أن يظلم، أو أن ينام، أو أن يحتاج إلى غيره، أو إلى طعام أو شراب، أما نحن البشر، فهناك صفات إذا اتصفنا بها كانت صفات نقص، وهناك صفات إذا اتصفنا بها كانت صفات كمال.

مثلًا: لا يليق بنا كبشر أن نتكبر، لأن هذا خاص بالله سبحانه وتعالى، أما احتياجنا إلى الطعام، أو الشراب، أو النوم، فهذا لا يعيبنا

من معاني اسم الله الصمد:

وللتوضيح من أسماء الله تبارك وتعالى: "الصمد" ومعناه الذي لا جوف له، أي لا يأكل ولا يشرب، ولما أراد الله أن يبين أن عيسى بشر، قال: **(ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام) [المائدة: 75]** أي أن من يأكل فهو محتاج للطعام، فلا يليق أن يكون إلهًا.

العظمة:

تعني عظمة الله تعالى في أسمائه وصفاته؛ فلا أحد مثل الله في علمه، أو قدرته، أو رحمته، أو واسع عفوه، أو أي من صفاته، فالله له الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله.

******

خاتمة:

هذا ذكر طيب مبارك، لو أننا في قيام الليل تدبرناه وتدبرنا عظمة الله جل جلاله، لشعرنا بالمعنى الذي كان يشعر به النبي صلى الله عليه وسلم وهو يردد طوال ساعة تقريبًا في ركوعه وسجوده :

سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أهل قيام الليل،

وأن يتقبل منا أعمالنا،

وأن يصلحها لنا،

اللهم آمين.

الخاطرة (20)

إنّي أَرى ما لا تَرَوْنَ، أَطَّتِ السَّماءُ، وحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ

عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: إني أرى ما لا ترون، أطت السماء، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى رواه الترمذي وقال: حديث حسن

هذا الحديث، يخبر عن كثرة عدد الملائكة بما لا يحصيه إلا الله عز وجل، وأنهم أضعاف أضعاف البشر بما لا نحيط به عدداً ولا وصفاً.

والنبي صلى الله عليه وسلم، في ليلة الإسراء والمعراج، رُفع له البيت المعمور والبيت المعمور هو كعبة الملائكة في السماء السابعة، محاذياً لكعبة الأرض كما في الحديث: لو سقط، لسقط عليها؛ فسأل النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام عن البيت المعمور، فقال: هذا كعبة الملائكة في السماء السابعة، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم يخرجون ولا يعودون إليه إلى يوم القيامة.

سبحان الله جل شأنه! تخيلوا كم عدد الملائكة الذين يدخلون هذا المكان في سنة واحدة!

فما بالنا بعددهم منذ أن خلق الله هذا الكون إلى يومنا هذا وإلى ما شاء الله! شيء لا يحيط به عد ولا وصف.

أطت السماء وحق لها أن تئط

تعني أنها أصدرت صوتاً يشبه الأنين أو الصرير، بسبب كثرة ما تحمل من الملائكة

في اللغة العربية، أصل الفعل أطّ تُستخدم لوصف صوت انتقال الدابة بسبب ثقل ما تحمله، مثل صوت الرحل فوق الجمل عند حمله للأثقال.

لكن المقصود هنا ليس عجز السماء عن حمل الملائكة، بل هو تعبير عن كثرة أعدادهم، تعبيراً مجازياً.

والنبي صلى الله عليه وسلم قال: ما من موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك واضع جبهته ساجداً لله.

العلماء قالوا إن حال الملائكة الأغلب هو السجود وقد وردت آيات عديدة من القرآن تصف سجود الملائكة وعبادتهم، منها قوله تعالى: **(فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ) [فصلت: 38]**، وقوله: **(يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) [الأنبياء: 20]**

حقائق عن الملائكة:

- من الملائكة من خلقه الله ساجداً، ومنهم من خلقه قائماً، ومنهم من خلقه راكعاً.
- الملائكة لا تملّ ولا تتعب من عبادة الله، فهم يسبحون الليل والنهار دون فتور.
- الملائكة ليست كالبشر، فلا يحتاجون إلى طعام أو شراب أو راحة.
- ليس فيهم ذكور أو إناث، وبالتالي لا زواج ولا شهوة ولا نسل.
- والنبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل على هيئته الحقيقية مرتين له 600 جناح، كل جناح منها سد الأفق
- عندما أمر الله جبريل بإهلاك قرى قوم لوط، رفعها إلى أعلى السماء، ثم قلبها، كما قال الله تعالى: **(وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى) [النجم: 53]**
- والله عز وجل وصف جبريل بقوله: **(عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى) [النجم: 5-6]**
- والنبي صلى الله عليه وسلم قال: **(أُذِن لي أن أتكلم عن ملك من حملة العرش، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمئة عام)** فتخيلوا حجم هذا الملك! فكيف بحجم بقية الملائكة الذين يحملون العرش؟

النبي صلى الله عليه وسلم قال في أول الحديث: إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون

ومعنى ذلك أن الله تعالى أرى نبيه ملكوت السماوات والأرض، وأسمعه أصوات الملائكة في تسبيحهم

والنبي صلى الله عليه وسلم قال: (لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، ولما استمتعتم بالنساء على الفُرُش، ولخرجتم إلى الصُّعُدَات تجأرون إلى الله)

المقصود هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم أُطلع على أمور غيبية عظيمة من عظمة الله، وملكوت السماوات والأرض، وأحوال الآخرة، والجنة والنار، وما أعده الله للطائعين والعصاة، وهذا العلم ليس متاحاً لعامة الناس، فهو من خصوصيات النبي صلى الله عليه وسلم.

ومعنى قوله لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً:

لو عرف الناس حقيقة عذاب الله وأهوال يوم القيامة، وما ينتظر العصاة والكافرين، وما سيحدث من شدة الحساب، لما وجدوا وقتاً للضحك أو الراحة، لأن الخوف من الله، وشدة الموقف في الآخرة، كانت ستجعلهم ينشغلون بالبكاء والخشوع والندم

ولما استمتعتم بالنساء على الفُرُش:

أي لو علم الناس عاقبة أعمالهم، وما ينتظرهم في القبر والآخرة، لانصرفوا عن الشهوات والملذات الدنيوية الزائلة، ومنها الاستمتاع بالنساء، ولشغلهم الخوف من الحساب عن هذه الأمور.

ولخرجتم إلى الصُّعُدَات تجأرون إلى الله:

الصُّعُدَات جمع صعيد، أي الأرض المرتفعة أو الواسعة، والمقصود هنا أنهم كانوا سيتركون بيوتهم ومشاغلهم، ويخرجون إلى الخلاء أو الأماكن الواسعة، يجأرون إلى الله بالدعاء والتضرع طلباً للمغفرة والنجاة من عذابه.

جأر بالدعاء يعني رفع صوته بالدعاء.

الهدف من هذا الحديث:

1- أن نعلم عظمة خلق الملائكة وكيف أن خلقتهم عظيمة، وأعدادهم كثيرة لا نحصيها عددًا، ولا نستطيع أن نصل إلى إدراك كم يكون.
2- مداومة الملائكة على عبادة الله عز وجل.

3- أن الله تعالى لو أطلعنا على عذابه، أو علمنا ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، لصارت كل لذة في الدنيا لا قيمة لها، ولاشتد خوفنا لدرجة ألا نكف عن الدعاء، نجأر إلى الله عز وجل أن يرفع عنا عقابه وعذابه.

هل الملائكة أفضل أم المؤمنين من الإنس والجن:

قال العلماء: من يجاهد نفسه في الطاعة ليس كمن جُبل على الطاعة؛ فالطائعون من عباد الله من الإنس والجن خير عند الله من الملائكة.

فمن خلقه الله وفيه الشهوات: الطعام والشراب والجنس، والميل للراحة، والدعة والكسل والتملك، هذه الشهوات كلها فطرنا الله عليها، وهذه غرائز موجودة فينا.

وعلى الرغم من هذا، نجد من عباد الله تعالى من صالحي هذه الأمة من يصوم ويقوم لله، ويتعفف عن الحرام، وعن الزنا وعن الظلم وغير ذلك.

فقال العلماء: ليس من جاهد نفسه على الطاعة كمن جُبل -أي خُلق- لا يعرف إلا الطاعة.

الملك ليس عنده معاناة؛ أي ليس متعبًا أو مجاهدًا لنفسه أن يسبح أو يسجد أو يركع هو خُلق هكذا، طبيعته هكذا.

كما هي طبيعة أي كائن حي خُلق هكذا؛ الطائر يطير، هذا يمشي على أربع، وهذا يمشي على رجلين فهذه طبيعتها.

ولذلك، نحن إذا رأينا حيوانًا يمشي على رجلين فقط، نعجب ونقول سبحان الله، الكلب يمشي كأنه إنسان، أو القرد في مشيته يشبه إنسانًا.

فليس هناك مجاهدة من الملك فيما يفعل، لأنه خلقه الله هكذا.

لكن من جاهد نفسه وجاهد هواه وترك محارم الله عز وجل، فهذا أفضل عند الله من الملائكة.

ولذلك يوم القيامة، أين تذهب الملائكة؟ إلى الجنة أم إلى النار؟

الملائكة ليس عليهم عقاب، وليس لهم ثواب، يعني لا ثواب ولا عقاب.

ستجد زبانية جهنم، وستجد خَزَنة الجنة أنهم يدخلون على المؤمنين من كل باب

فالملائكة ليس عليهم تكليف بمعنى أنه ينتج عنه إثابة أو عقاب.

فالملائكة يطيعون أوامر الله فقط؛ أما الإنس والجن، المكلفون من الله بالتكاليف، يكون يوم القيامة الحساب ومن ثم الجزاء.

فأهل الجنة يومئذ هم من أعلى الخلق رتبة ودرجة ومنزلة والملائكة تدخل عليهم تهنئهم بسلامتهم: **(سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ)** [سورة الرعد: الآية 24]

وتكلم أهل النار: **(أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى، وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ)** [سورة الزمر: الآية 71]

إذًا، فمن جاهد هواه، وجاهد نفسه في طاعة الله، فهو أفضل عند الله تعالى من الملائكة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا هداة مهتدين،

لا ضالين ولا مضلين

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل،

ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل

اللهم آمين

****

الخاطرة (21)

يد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار

عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: "أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ" ثم قال صلى الله عليه وسلم: «يد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يغض ما في يده وقال: عرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان، يخفض ويرفع» رواه البخاري

هذا الحديث أوله قدسي من كلام الله عز وجل:

يا ابن آدم، أَنفق أُنفق عليك:

أَنفق: فعل أمر؛ الله تعالى يدعو عباده إلى الإنفاق، سواء كانت النفقة الواجبة كالنفقة على الأولاد والزوجة، أو على الوالدين إن كانوا في حاجة إلى النفقة، أو الزكاة طبعاً، أو النفقة المستحبة كالصدقات وأعمال البر والخيرات.

أُنفق عليك: أي: أعوضه لك، وأعطك خلفه، بل أكثر أضعافا مضاعفة، وهو معنى قوله عز وجل: **{وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه} [سبأ:39]**، فالله تعالى وعد كل من ينفق بأن ينفق الله عليه، أي يخلف عليه بالخير.

ثم يقول النبي صلى الله عليه وسلم: يد الله ملأى

والوصف بـملأى هنا وصف مبالغة مثل: "الأسماء الحسنى"، مبالغة في الكمال، فـ ملأى تعني الامتلاء الكامل.

وهذا إشارة إلى أن ما في خزائن الله سبحانه وتعالى كثير، لا ينفد أبداً، كما قال تعالى: **(ما عندكم ينفد وما عند الله باق)** [النحل: الآية 96]، وقال: **(وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم)** [الحجر: الآية 21]

ومع سعة إنفاق الله على عباده، يمكننا أن نتخيل كم عدد المخلوقات التي خلقها الله، وكم يساق لها من أرزاق لتعيش وتأكل وتحيا، وكم هيّأ الله لها من معايش، وكم أنعم

الله على عباده من رزق في ماء ينزل من السماء، ونبات، وحيوان، وخيرات، وما يهبهم من عافية وأولاد.

وعلى الرغم من هذا، فإن الله لا ينقص ما ينفقه مما في يده شيئاً.

يد الله ملأى، لا تَغيضها نفقة

أي لا ينقصها شيء، قال تعالى: **(وغيض الماء)** [هود: الآية 44]، أي: لا تنقصها، «نفقة» مهما عظمت أو كثرت.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: سحاء الليل والنهار

والسحاء هو نزول الشيء بكثرة من أعلى إلى أسفل، فنعم الله تعالى تتنزل في الليل وفي النهار بلا حساب.

ثم يقول النبي صلى الله عليه وسلم: أرأيتم كم أنفق منذ خلق السماوات والأرض؟

لو أن غنياً من البشر أنفق على أسرته أو شركته، فإن ثروته ولا شك تنقص.

أما رب العزة جل وعلا الذي يطعم من في السماوات والأرض، فإن ذلك لا ينقص مما عنده شيئاً.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: فإنه لم يَغِضْ ما في يده

أي: لم يَنقُصْ ما في يَدِه شيء.

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: وكان عرشه على الماء

إشارة إلى قدرة الله المطلقة في خلقه وإبداعه

وأيضاً قال: وبيده الميزان يخفض ويرفع

فيحكم بالعدل بين خلقه «يخفض» من يشاء، «ويرفع» من يشاء، والمقصود بالميزان هنا هو ميزان المقادير، فليس في الكون شيء يسير وفق الصدفة أو الاعتباط، إنما كل شيء عند الله بقدر وميزان، قال تعالى: **(إنا كل شيء خلقناه بقدر) [القمر: الآية 49]**، فكل ذرة في الكون تتحرك بحساب، وكل ساكن يتحرك بحساب.

وهذا ما هدانا إليه العلماء من قوانين كونية وفلكية، كحركة الشمس والقمر، والمد والجزر، ونزول المطر.

اكتشف العلماء القوانين لأنها ثابتة متكررة، وصاروا يدرسونها ويفهمون بها نظام الكون؛ فكل ذرة في الكون تتحرك بحساب، وكل متحرك يسكن بحساب، وكل ساكن يتحرك بحساب، وكل شيء عند الله بميزان.

والعلماء اهتدوا إلى هذا النظام الكوني أو النظام الفلكي بقوانين ثابتة في الكون، مثل شروق الشمس وغروبها، وحركة القمر وما يعقبها من مد وجزر، وحركة الرياح، ونزول المطر وكل هذه الأشياء اكتشف العلماء قوانينها لأنها ثابتة متكررة متعاقبة، فتكرار الشيء يلفت النظر إلى أن له قانوناً.

وصارت هناك قوانين تدرس، مثل قوانين الحركة، وقوانين الحرارة، وقوانين الجاذبية وهكذا.

عندما اكتشف العلماء القوانين، علموا أن كل شيء في الكون بميزان، فصاروا يكتشفون أشياء كثيرة جداً في الكون مما لم يخطر بالبال من قبل قال الله تعالى: **(وكل شيء عنده بمقدار) [الرعد: الآية 8]**

الله تعالى بيده الميزان، يخفض ويرفع، إشارة إلى ما يجريه من مقادير؛ يخفض ما يشاء ويرفع ما يشاء، وهذا كقوله تعالى: **(قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) [آل عمران: الآية 26]**

وكل مسائل الخلق، وكل ما يرجونه، إذا سألوا الله فأعطاهم، فإن ذلك لا ينقص مما عنده شيئاً.

جريان الأرزاق بأسبابها:

والإشارة في الحديث إلى أن الله غني كريم، عنده خزائن كل شيء، وعطاؤه بحساب

عطاء الله ليس اعتباطاً أو جزافاً، بل جعل كل شيء بميزان، وجعل كل شيء بأسبابه، وقدر في الكون قوانين للارتزاق، والحركة، والاكتساب.

وهذه الأشياء كلها، نحن نتفاعل معها مستعينين بالله عز وجل، مع علمنا أن الله على كل شيء قدير، قال الله تعالى: **(إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)** [الذاريات: 58]

قال العلماء: إن الله سبحانه وتعالى قدر الأرزاق بأسبابها، فأي رزق في الكون جعله الله بسبب، وقدر أيضاً أرزاقاً بغير أسبابها، وهذا معنى قوله تعالى: **(ويرزقه من حيث لا يحتسب)** [الطلاق: الآية 3]، فهذا الرزق من حيث لا تحتسب حتى تعلم أن هناك باباً يفتح عليك بأمر الله إذا شاء، لكن لا تهمل الأسباب؛ خذ بالأسباب كما أمرك الله، واجعل الأرزاق والمقادير تجري كما أراد الله سبحانه وتعالى.

فالله تعالى بيده الميزان، يخفض ويرفع، كل شيء عنده بميزان دقيق.

ولذلك قال سفيان الثوري: إذا سألت الله فاعلم أنك لا تسأل فقيراً ولا بخيلاً.

إذا سألت الله فاعلم أنك لا تسأل فقيراً ليس عنده شيء، بل هو الغني جل جلاله

ولا تسأل بخيلاً؛ فالله تعالى لا يبخل؛ فهو أكرم الأكرمين لكنه يعطي بحساب، ويمنع بحساب فعطاؤه إنعام، ومنعه إنعام.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه،

ويثبتنا على الحق إلى أن نلقاه

اللهم آمين

****

الخاطرة (22)

اللهم ربّ السماوات، وربّ الأرض، وربّ العرش العظيم

في صحيح مسلم عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: (اللهم ربّ السماوات، وربّ الأرض، وربّ العرش العظيم، ربنا وربّ كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شرِّ كل ذي شرٍّ أنت آخذٌ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقضِ عنَّا الدَّيْنَ وأغننا من الفقر)

هذه الكلمات التي فيها توسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولها قبل أن ينام، وفي رواية الترمذي، أنه أوصى بها ابنته فاطمة رضي الله عنها لما طلبت منه خادماً في الحديث المشهور، أوصاها أن تسبح ثلاثاً وثلاثين، وتحمد ثلاثاً وثلاثين، وتكبر أربعاً وثلاثين ولعل النبي صلى الله عليه وسلم أوصاها بهذا الدعاء وذاك.

بدأ النبي صلى الله عليه وسلم التوسل إلى الله بعظيم مخلوقاته فقال:

اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم

كلمة رب هنا منصوبة لأنها في محل نداء، وأداة النداء محذوفة في اللغة العربية إذا كان المنادى قريباً، وأصلها: يا رب السماوات ويا رب الأرض ويا رب العرش العظيم.

ثم توسَّل إلى الله تعالى بربوبيته على كل شيء فقال:

ربنا ورب كل شيء

فهو سبحانه وتعالى خلق كل شيء ولا خالق غيره قال الله تعالى: (هل من خالق غير الله) [فاطر: الآية 3] لا أحد خلق هذا الكون بكل ما فيه غير الله سبحانه وتعالى.

ثم توسَّل إلى الله تعالى بصفة من صفاته العظيمة:

فالق الحب والنوى

الحب يطلق على كل ما هو متعلق بالزرع، والنوى يطلق على ما هو متعلق بالشجر يقال للمزروعات حبوب، ويقال للأشجار نوى والنوى ليس فقط نوى التمر أو البلح، بل كل ما يغرس شجراً يُسمى نواة.

ومعنى فالق الحب والنوى أي الذي يفلق الشيء ويكسره.

وهذه من آيات الله العظيمة، أن توضع الحبة أو النواة في باطن الأرض، وبقدرته سبحانه تنفلق وتخرج منها النبتة التي تحمل الرزق والخيرات التي قدّرها الله تعالى لعباده.

ثم توسَّل إلى الله تعالى بأعظم الكتب التي أنزلها فقال :

ومُنزل التوراة والإنجيل والفرقان

ومعنى الفرقان هو القرآن كلام الله سبحانه وتعالى، وهو أعظم كتاب أنزله الله تعالى لأنه فيه هداية الناس وبيان مراد الله تعالى من خلقه.

ثم استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم بالله من شر كل شيء فقال:

أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته

والناصية هي مقدمة الرأس والمقصود هنا أن كل المخلوقات تحت قهر الله وسلطانه، ولأن الإنسان قد يصيبه الأذى مما يعلم ومما لا يعلم، علَّمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نتوسل إلى الله بأن يكفينا شر كل شيء خلقه.

ثم توسَّل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى بأسمائه الأربعة:

الأول والآخر والظاهر والباطن

وفسرها تفسيراً سهلاً فقال:

أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء

اسمي الأول والآخر:

الأولية في الخلق لله عز وجل؛ فهو الذي خلق كل شيء ولا خالق له.

الله تعالى هو خالق كل شيء سبحانه وتعالى ولذلك إذا وسوس الشيطان للإنسان بسؤال: من خلق الله؟

فإن النبي صلى الله عليه وسلم علّمنا أن نستعيذ بالله ونقطع هذه الوسوسة.

لكن بعض العلماء قالوا: لو افترضنا جدلاً أننا نجيب على هذا السؤال، فإن كل شيء لا بد أن يكون له أول، ولو استمررنا في السؤال: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟، فلا بد أن نصل إلى أولية الخلق، وهذا الأول هو الله سبحانه وتعالى قال النبي صلى الله عليه وسلم: كان الله ولا شيء معه؛ فالله سبحانه وتعالى هو الأول فلا شيء قبله.

وهو سبحانه الآخر بعد فناء كل شيء، قال الله تعالى: **(كل شيء هالك إلا وجهه)** [القصص: 88] فالله سبحانه وتعالى هو الآخر فلا يبقى بعده شيء، وهنا ينادي الله جل في علاه كما في الآية: **(لمن الملك اليوم لله الواحد القهار)** [غافر: 16]

اسمي الظاهر والباطن:

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: وأنت الظاهر فليس فوقك شيء

الظهور هنا معناه العلو، كما في الآية: **(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)** [التوبة: الآية 33] ليظهره تعني ليعلو دين الله على سائر الأديان، فيظهر الله برهان هذا الدين ويفتح له القلوب وتخضع له الناس.

فمعنى اسم الله "الظاهر" الذي يعلو على كل شيء، وهو العلي الأعلى.

وأما الباطن، فهو عكس الظاهر فمع علوه جل وعلا، فهو الباطن الذي لا تُدركه الأبصار، كما قال تعالى: **(لا تُدركه الأبصار وهو يُدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير)** [الأنعام: الآية 103] فهو خفي عن الأنظار، يرى ولا يُرى، سبحانه وتعالى

وبعض العلماء فسروا الظاهر والباطن تفسيراً آخر فقالوا: الظاهر بمعنى أن دلائل صنعته وآيات خلقه تظهر لكل من ينظر في الكون، فكل شيء في هذا الخلق العظيم يدل على وحدانيته، فهو ظاهر من حيث الوضوح والبرهان.

أما الباطن، فقالوا: إنه بمعنى الذي يعلم خفايا الأمور وخباياها، عليم بذات الصدور، يعلم ظاهر الأمور وباطنها.

فهو الظاهر الذي دلّت عليه آيات خلقه، وهو الباطن الذي يعلم خفايا القلوب والأسرار، جل وعلا.

ونلاحظ ذكر هذه الأسماء الأربعة في سورة الحديد في قوله تعالى: **(هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) [الحديد: الآية 3]**

ولفت العلماء الانتباه إلى أن اللغة العربية لا تستخدم عادةً واو العطف بين أسماء الله الحسنى المتتالية، مثل: وهو السميع العليم أو الغفور الرحيم لكن في هذه الآية، جاءت الواو بين الأول، والآخر، والظاهر، والباطن؟

ما السبب؟

بيّن العلماء السبب، فقالوا: لأن الشيء إما أن يكون أولاً أو آخراً، وإما أن يكون ظاهراً أو باطناً، فجاء العطف هنا ليدل على أن الله متصف بكل هذه الصفات في آنٍ واحد، ليزيل أي لبس قد يحدث عند البعض.

ثم دعا النبي صلى الله عليه وسلم ربه فقال :اقضِ عنا الدين

وفي رواية الترمذي جاءت باللفظ المفرد **:اقضِ عني الدين واغنني من الفقر**

فسأل النبي صلى الله عليه وسلم ربه ببركة هذه الأسماء الحسنى أن يقضي عنه الدين، وأن يغنيه من الفقر.

هذا الدعاء دعاء عظيم وجليل، ينبغي لكل من سمعه أن يردده قبل نومه لينال البركة والأجر.

****

الخاطرة (23)

اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن

عن ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال:

اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك حق وقولك حق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق والنبيون حق ومحمد حق اللهم لك أسلمت وعليك توكلت وبك آمنت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت أو لا إله غيرك

شرح الدعاء

هذا الدعاء كان ﷺ يستفتح به في قيام الليل، وهو جدير بالتأمل والحفظ والفهم والعمل، جمع فيه النبي ﷺ معاني الإيمان والتوحيد والتوكل والانقياد والتسليم والإنابة والتضرع والخضوع مع الثناء على الله، وختمه بالدعاء

وجمع فيه النبي ﷺ أنواع الاستفتاح الثلاثة، كما قال ابن تيمية -رحمه الله-: أنواع الاستفتاح للصلاة ثلاثة:

أولها: ما كان ثناء على الله وهو أعلاها.

يليه: ما كان خبرا من العبد عن عبادة الله.

والثالث: ما كان دعاء من العبد. (10)

في هذا الدعاء ذكر التوسل إليه بحمده، والثناء عليه، اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ثم ذكر العبودية له: اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، ثم بعد ذلك سأل الله المغفرة، وقال: فاغفر لي ما قدمت وما أخرت..... الحديث

---

(10) مجموع الفتاوى: 342/22

قوله: إذا قام من الليل يتهجد

تهجد أصل الهجود: النوم، ومعنى تهجدت: طرحت عني النوم، والمتهجد المصلي ليلا، وظاهر السياق أنه كان يقوله أول ما يقوم إلى الصلاة.

اللهم لك الحمد

أصل اللهم: الله والميم فيها عوض عن ياء النداء عند الجمهور، والمراد دعاء الله وحده لا شريك له، فأصلها: يا الله فلما حذف حرف النداء زيد الميم في آخره.

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح :وقيل الميم كالواو الدالة على الجمع كأن الداعي قال: يا من اجتمعت له الأسماء الحسنى، ولذلك شددت الميم لتكون عوضاً عن علامة الجمع، وقد جاء عن الحسن البصري: اللهم مجتمع الدعاء، وعن النضر بن شميل: من قال اللهم فقد سأل الله بجميع أسمائه.

لك الحمد

الحمد عكس الذم، ومعناها أن الله تبارك وتعالى له كل صفات الكمال والجمال والجلال فهو سبحانه كامل في ذاته، وصفاته، وأفعاله.

والحمد وصف المحمود بالكمال مع المحبة، والتعظيم، لأن مجرد وصفه بالكمال بدون محبة، ولا تعظيم: لا يسمى حمداً؛ وإنما يسمى مدحاً؛ ولهذا يقع من إنسان لا يحب الممدوح؛ لكنه يريد أن ينال منه شيئاً، كما كان بعض الشعراء يفعل ابتغاء المال، ولكن حمدنا لربنا عزّ وجلّ حمدَ محبةٍ، وتعظيمٍ.

قوله: قيم السماوات

وفي رواية لمسلم: (قيام) وقيم قيام قيوم كلها صيغة مبالغة تدل على قوة القيام وكماله، والقيام نقيض الجلوس، يقال: قام يقوم قياما، فهو قائم، وهو قيّام على الشيء هو المراعاة للشيء والحفظ له، ومنه اسم **القيوم** صيغة مبالغة من القيام، فعله قام، **والقيم** هو السيد ويسمى في عصرنا المدير الذي يسوس الأمور القائم بنفسه، المقيم لغيره.

ومعناه: أنه جل جلاله قائم بأمر الخلق برزقه ورعايته وحفظه، وما من شيء إلا وإقامته بأمره وتدبيره سبحانه وتعالى، وهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه، فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه، المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته.

قوله: أنت نور السماوات والأرض

أي: منورهما، وبك يهتدي من فيهما.

قال الشيخ السعدي: من أسمائه جلّ جلاله ومن أوصافه النور الذي هو وصفه العظيم، فإنه ذو الجلال والإكرام، وذو البهاء والسبحات الذي لو كشف الحجاب عن وجهه الكريم لأحرقت سبحاته ما انتهى إليه بصره من خلقه، وهو الذي استنارت به العوالم كلها، فبنور وجهه أشرقت الظلمات، واستنار به العرش والكرسي والسبع الطباق وجميع الأكوان.

قوله: أنت ملك السماوات والأرض

المِلِك :هو ذو الملك وصاحب التصرف فيما يملك؛ فالله هو الملك صاحب التصرف المطلق الآمر الناهي الذي يصرف أمور عباده كما يشاء.

قوله: أنت الحق

أي: المتحقق الوجود الثابت بلا شك فيه، والله هو الحق: في ذاته، وصفاته، فهو واجب الوجود كامل الصفات والنعوت، وجوده من لوازم ذاته، ولا وجود لشيء من الأشياء إلا به؛ فهو الذي لم يزل، ولا يزال بالجلال، والجمال، والكمال، موصوفًا، ولم يزل ولا يزال بالإحسان معروفًا، فقوله حق، وفعله حق، ولقاؤه حق، ورسوله حق، وكتبه حق، ودينه هو الحق، وعبادته وحده لا شريك له هي الحق، وكل شيء إليه فهو حق منه سبحانه وتعالى

قوله: ووعدك الحق

أي الثابت، لأن إخلاف الميعاد يكون إما لكذب الواعد يعد فيُخلف، وإما لأنه عاجز، فانتفاء إخلاف الله الميعاد لكمال صدقه، وكمال قدرته عز وجل، فلكمال

صدقه وكمال قدرته لا يخلف الميعاد؛ قال تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ)** [آل عمران: 9] ومعناه أن الله سبحانه وتعالى لا يخلف وعده أبدًا، سواء كان وعده بالخير أو بالشر، فهو سبحانه إذا وعد المؤمنين بالنصر والجنة أو وعد الكافرين بالعقاب والنار، فإن وعده حق لا يتغير ولا يتبدل.

قوله: ولقاؤك حق

فيه الإقرار بالبعث بعد الموت، وقيل: معنى لقاؤك حق أي الموت.

قوله: وقولك حق

أي كله متحقق لا شك فيه وقيل: معناه خبرك حق وصدق.

قوله: والجنة حق والنار حق

يعني أن الجنة والنار هما من الحقائق الثابتة التي لا شك فيها؛ والجنة هي دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين الذين يتبعون هديه، والنار هي دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين والمكذبين.

قوله: والنبيون حق

يعني نؤمن بأنبياء الله ورسله جميعا **(لا نفرق بين أحد من رسله)** [البقرة: 285]

ومحمد صلى الله عليه وسلم حق خصه بالذكر تعظيما له.

قوله: والساعة حق

أصل الساعة: القطعة من الزمان، والساعة حق يعني يوم القيامة؛ وما فيها من الحساب، ونشر الصحف، الميزان، الصراط، الحوض...الخ.

وإطلاق اسم الحق على ما ذكر من الأمور معناه أنه لا بد من كونها وأنها مما يجب أن يصدق بها وتكرار لفظ حق للمبالغة في التأكيد.

وإذا عرف المؤمن أن وعده حق، وأن لقاءه حق، وأن قوله حق؛ فإنه يبدأ يحاسب نفسه على كل ما فعل، وأنه يحتاج إلى العمل والجد والاجتهاد، والمحاسبة للنفس على الصغير والكبير، فيكون عليه حسيب من نفسه.

قوله: اللهم لك أسلمت

بدأ الآن بالدعاء، بعد كل ما تقدم من الثناء، وبعد كل ما تقدم من الاعتراف والإقرارات الإيمانية، اللهم لك أسلمت استسلمت وأطعت انقدت لحكمك وأمرك ونهيك، وسلمت ورضيت وآمنت وصدقت واستيقنت.

وبك آمنت

صدقت بما أنزلت وما أخبرت، وما أمرت وما نهيت.

وقوله: بك آمنت أقوى من آمنت بك، بك آمنت يجمع الإيمان بالله وأني لم أؤمن إلا بتوفيقك، أما قول: آمنت بك مجرد الإخبار عن الإيمان، إذن بك فيها استعانة، بك توفيقا منك، غير آمنت بك مجرد الإخبار، بك آمنت إخبار وإقرار بأن الإيمان كان بتوفيق منه -سبحانه-

وعليك توكلت

أي: فوضت الأمر إليك تاركا للنظر في الأسباب العادية، تبرؤ من الحول والقوة، وتفويض الأمور إلى الله، ومن توكل على الله كفاه.

وإليك أنبت

أي :رجعت إلى الخير، والمنيب الراجع المقبل على الله، قال تعالى: **(وأنيبوا إلى ربكم)** [الزمر: 54]، أي عودوا إلى ما يحبه ويرضاه، وارجعوا إليه بالتوبة.

قوله: وبك خاصمت

أي: بما أعطيتني من البرهان، وبما لقنتني من الحجة، وبك خاصمت مستعينا بك في جدال أعدائك، وبالحجج التي أنزلتها وذكرتها والدلائل والبراهين.

قوله: وإليك حاكمت

أي: وإليك حاكمت إلى شرعك حاكمت، لا إلى كاهن، ولا إلى بشر بقوانين أرضية المخاصمة ليس لهواي وحظي، وإنما من أجلك يا الله، وإلى دينك حاكمت، لا إلى هواي ولا إلى هوى غيري، فمن خاصم لنفسه ينتصر لنفسه، ولكن النبي ﷺ ما انتقم لنفسه، ومن حاكم إلى شريعة الله لن يتحاكم إلى غيره.

وقوله: فاغفر لي

قال ذلك مع كونه مغفورا له، إما على سبيل التواضع وإجلالا وتعظيما لربه، أو على سبيل التعليم لأمته لتقتدي به.

قوله: ما قدمت، وما أخرت

ما قدمت وما سلف مني من الذنوب والأعمال السيئة، وما أخرت عما سيقع بعد ذلك

وقيل: ما قدمت من سيئة، وما أخرت من عمل.

وقيل: ما قدمت من شهواتي على حقوقك وما أخرت من الحقوق التي تجب لك.

قوله: وما أسررت وما أعلنت

أي: أخفيت وأظهرت، أو ما حدثت به نفسي وما تحرك به لساني.

قوله: أنت المقدم وأنت المؤخر

أنت المقدم وأنت المؤخر تقدم من شئت من خلقك إلى رحمتك، وتؤخر من شئت عن ذلك بخذلانهم.

ومن قدّمه الله فلا مؤخّر له، ومن أخّره الله فلا مقدّم له.

لو اجتمعت الأمة كلها على أن يؤخّروا ما قدّم الله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

ولو اجتمعوا كلهم على أن يؤخّروا ما قدّم الله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

وأنت إذا ءامنت بهذا اعتمدت على الله وصار الناس كلهم خلف ظهرك.

ثم قال: لا إله إلا أنت

ختمها بالتوحيد، وهذه الكلمة التي لوزنت بها السماوات والأرض لرجحت بالسماوات والأرض، لأنها كلمة الإخلاص.

أو قال: لا إله غيرك

أو هنا شك من الراوي، وهذا الشك لا يضر لأن المعنى واحد

******

في هذا الحديث دليل على صدق التجاء الرسول صلى الله عليه وسلّم إلى ربه، وعلى ثنائه على ربه عز وجل، والثناء على الله دعاء بلسان الحال، لأن المثني على الله لو سألته لماذا أثنيت؟

رجاء الثواب وخوف العقاب، فالثناء على الله يُعتبر دعاء في الحقيقة، ولهذا جاء في الحديث: **(من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين)** وإن كان هذا الحديث فيه نظر لكن يدل على أن الثناء قد يقوم مقام الدعاء.

وقال الشاعر:

إذا أثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرّضه الثناء

معناه أنه يكفيه الثناء لأن الثناء عند الكريم طلب وسؤال وحاجة.

****

الخاطرة (24)

إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: لما قضى الله الخلق، كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي رواه البخاري، ومسلم

شرح الحديث

لما قضى الله الخلق :يعني لما أتم الخلق وأتقنه سبحانه وتعالى.

كتب كتابًا، وفائدة الكتاب هنا تفيد أن الأمر ثابت لا يتغير، فما كتبه الله لا يُمحى.

وكتابًا ليس المقصود به كتابًا بتعبيرنا الدارج، إنما المقصود هنا بطاقة أو رسالة فيها هذا الكلام

كتب كتابًا فهو عنده فوق العرش

والعندية هنا المقصود بها أهمية ما كُتب، ماذا في هذه الرسالة أو هذه البطاقة؟

إن رحمتي سبقت غضبي أو إن رحمتي تغلب غضبي

الله سبحانه وتعالى، سمى نفسه الرحمن ولم يسمِّ نفسه الغضبان، رغم أنه سبحانه وتعالى يرحم ويغضب، ومن صفاته الرحمة ومن صفاته الغضب، لكنه جعل الرحمة وصف ذات، وجعل الغضب وصف فعل.

الرحمة أحد صفات الله جل جلاله الذاتية:

ما معنى صفة ذاتية؟

لو قلنا على شخص أنه أسمر اللون، هذه تُسمى صفة ذاتية، مثل: أسمر، طويل، أبيض، قصير هذه تسمى صفات ذاتية.

ما هي أفعاله؟ يأكل، يشرب، يمشي، يلعب، ينام، يغضب، يفرح، يضحك؛ هذه تُسمى صفات أفعال.

صفات الذات لا تتغير، أما صفات الأفعال فإنها تتغير وتتجدد هذا معنى تقريبي، بالنسبة لنا نحن البشر.

فحينما نقول إن من أسماء الله عز وجل الرحمن، فهذا معناه أن الرحمة صفة ذات لله، صفة من صفات الله الذاتية جل جلاله؛ فهو سبحانه وتعالى الذي بلغت رحمته الكمال.

والعرب في اللغة العربية يزنون الكلمات على وزن الفعل الماضي **فعل**، فرَحِمَ على وزن **فعل** فلما يزنون اسم **الرحمن**، يقولون إنه على وزن :فعلان هذا الوزن الذي يأتي على سياقه كثير من الكلمات في الوصف قالوا إنه يفيد الكمال في الوصف.

فمن هذه المبالغات أن يُقال: شبعان، غضبان، جوعان، حيران، سكران، نومان

كل هذه تُسمى مبالغات، يعني هو ليس نائمًا فقط، بل إنه نومان نوم عميق.

لا نقول إنه استدفأ وذهب عنه البرد، يقولون: دفيان لا يقولون إنه ارتوى وشرب بعض الماء، بل يقولون: ريان، يعني بلغ الكمال في الوصف.

فلما أتوا عند وصف الرحمة، الله تعالى رحمن، يعني رحمته واسعة شاملة لا حد لها، ولذلك يمكن لأحد أن يتسمى بالرحيم، لأن الرحيم صفة فعل.

لكن لا يجوز التسمي باسم الرحمن نهائيًا، فهذا اسم خاص بالله، لأنه لم يبلغ الكمال في الرحمة إلا الله عز وجل.

أما فعل الرحمة، فالله يرحم، وجعل الرحمة في عباده، وسمى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: **(بالمؤمنين رؤوف رحيم)** [التوبة: 128]

إذًا، فصفة الرحمة صفة ذاتية من صفات الله عز وجل، ورحمته سبحانه وتعالى من أوسع وأشمل وأكمل الصفات.

ولذلك الإمام ابن القيم -رحمه الله- في ملخص كلامه قال: لما أخبر الله تعالى عن استوائه على العرش قال: **(الرحمن على العرش استوى)** [طه: 5] والعرش هو أعظم المخلوقات، فلماذا لم يقل الملك على العرش استوى أو القهار على العرش استوى؟ لماذا جاء باسم الرحمن؟

قال ابن القيم -رحمه الله-: بما أن العرش أوسع المخلوقات وأعلاها، فإن الرحمة هي أوسع الصفات وأكملها، فناسب أن يستولي على أوسع وأكبر المخلوقات بأوسع وأكمل الصفات: **(الرحمن على العرش استوى)**

فذكر صفة الرحمة وناسب ذلك لهذا الخلق العظيم، العرش، الذي تكلمنا عنه بالتفصيل فيما سبق

رحمة الله تعالى تعم الجميع: المؤمن والكافر :فهو يرزق الجميع ويعطي الجميع، تخيل، شخص يسب الله، ينكر وجوده، يشرك بالله، يقول في الله عز وجل ما لا يليق به من الصفات، ومع ذلك يرزقهم الله، يعافيهم، يعطيهم، ولا يمنع عنهم، وهذا يسمى عطاء الربوبية، فهو رب العالمين.

أما يوم القيامة، فينقطع عطاؤه إلا عن المؤمنين: **(قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة)** [الأعراف: 32] يعني هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا ولغيرهم، ثم يوم القيامة يكون عطاؤه للمؤمنين وحدهم، ويمنع رحمته وعطاءه عن كل من كفر به، لأن يوم القيامة يوم الجزاء على الأعمال.

أي ملك من ملوك الدنيا أو مسؤول أو رئيس يكتسب سطوته من العقاب.

وأي ملك يريد أن يفرض سطوته وقبضته على بلده أو على حكمه يكون ذلك بسفك الدماء والعقوبات القاسية والسجن وما إلى ذلك.

فإذا علم الملك أو رأى من يعصيه أو يجاهر بعداوته، فإنه لا يرحمه

الملوك غضبتهم أسرع من أي شيء، والعفو عندهم قليل إذا تعلق الأمر بملكهم.

وهذا الأمر معروف تاريخيًا: أي ملك يريد أن يفرض سطوته يكون لديه إثخان في الدماء، يقتل، يسفك، يعذب، يؤذي.

ولكن سبحان الله العظيم! الله ملك الملوك جل جلاله، يستطيع أن يفرض سلطته ويجبر عباده من الإنس والجن على طاعته، وعلى الرغم من هذا، فإنه لم يقهر أحدًا على عبادته.

ليس هناك أحد مقهور على عبادة الله وحده، بل إنه سبحانه وتعالى يرزقهم ويعطيهم، وهم يقولون في الله ما لا يليق، يشركون به، يسبونه، ينكرون وجوده، ومع ذلك يعطيهم سبحانه، وهو يراهم ويسمعهم جل جلاله.

فهنا لماذا قال الله تعالى: إن رحمتي سبقت غضبي؟

يرى العاصي وهو يعصي، وهو الذي أعطاه القدرة: أعطاه القدرة على البصر، والسمع، والحركة، ويفعل ما يفعل، فقدّره على ما فعل، ويحلم عليه فلا يعاجله بالعقوبة، لأن المستعجل أو المتعجل هو من يخاف فوات الشيء.

أنت، مثلاً، الحافلة ميعادها الساعة السادسة، وبينك وبينها ثلاث دقائق، فتجري... لماذا تجري؟ لأنك تخاف فوات الموعد.

فالعجول هو الذي يخاف فوات الشيء.

الله تعالى لا يفوته شيء، فهو حليم لا يعجل.

يعصي من يعصي من عباده ويحلم عليهم، ويمهلهم، ويعطيهم، ويقيم عليهم الحجة، ويرسل إليهم الرسل.

فرعون وقف في قومه يقول: **(أنا ربكم الأعلى) [النازعات: 24]**

هذه جريمة كبرى! جريمة شخص وقف وقال لله: أنا أنازعك في ربوبيتك.

وزاد في غروره فقال: **(ما علمت لكم من إله غيري)** [القصص: 38]

وعلى الرغم من هذا، لما أرسل الله موسى وهارون نبييه الكريمين، قال لهما: **(فقولا له قولًا لينًا لعله يتذكر أو يخشى)** [طه: 44]

يا الله، يا الله، ما أحلمك! ما أجلك وأعظمك ... لعلّه يتذكر أو يخشى

وكان الإمام الشافعي إذا قرأ هذه الآية أخذته رقة ويقول: يا رب، هذا قولك لمن قال: أنا ربكم الأعلى، فما قولك لمن يقول في سجوده: سبحان ربي الأعلى؟!

ففعل فرعون ما فعل من العلو والطغيان، وسفك الدماء، وادعاء الربوبية، والصد عن سبيل الله، ومعاداة الله ورسوله ونبييه موسى وهارون، وعلى الرغم من هذا قال الله لنبييه: فقولا له قولًا لينًا سبحان الله!

ومع هذا، إن آمن الكافر فإن الله تعالى يبدّل سيئاته حسنات ويغفر له ما قد سلف.

وإن تاب العاصي، كذلك، يبدّل الله سيئاته حسنات ويغفر له ما قد سلف.

فهو سبحانه وتعالى رحمته سبقت غضبه -جل وعلا-

فجعل الرحمة هي الغالبة، وجعل الرحمة هي السابقة.

فلا يغضب الله عز وجل إلا بعد الإمهال، وبعد الإنذار، وبعد البيان، ثم إذا جاء عقابه كان عقابًا أليمًا شديدًا.

وهذا الأمر فتح الباب لكل من أساء وعصى أن يتوب إلى الله عز وجل.

والله تعالى يقول: **(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا)** [الزمر: 53]

ففتح الباب لجميع العصاة... كل من أساء، الباب مفتوح للتوبة... سبحان الله العظيم!

وكان عمر بن عبد العزيز إذا قرأ الآية: (ورحمتي وسعت كل شيء) [الأعراف: 156] يقول: اللهم إن لم أكن أهلًا لبلوغ رحمتك، فإن رحمتك أهل لأن تبلغني فأنا شيء، ورحمتك وسعت كل شيء.

ولذلك، سبحان الله، بعض الشعراء اقتبس هذا المعنى في بيتين من الشعر فقال:

أنا خاطئ أنا مذنب أنا عاصي هو غافر هو راحم هو كافي

قابلتهن ثلاثة بثلاثة ولتغلبن أوصافه أوصافي

أنا عبد خاطئ، عندي معاصٍ، وعندي تقصير، وعندي ذنوب هذه صفاتي، وهو جل وعلا غافر، راحم، كافٍ، قابلتهن ثلاثة بثلاثة، ولتغلبن أوصافه أوصافي، فذنوبي

بجانب عفو الله لا شيء، وأنا إذا غمرتني رحمة الله مع عصياني، فإن الله يتوب عليّ ويرحمني، سبحانه وتعالى.

أصحاب الكهف:

نحن نقرأ سورة الكهف كل جمعة، أين ناموا؟

الإنسان فينا لو سافر ونام في فندق خمس نجوم، لأنه مكان غريب قد لا يأتيه النوم في الليلة الأولى؛ كثير من الناس كذلك.

رغم أنك نائم في تكييف، في أمان، في فرش جميل، في رائحة طيبة، في كل مقومات الراحة موجودة، لكن لا يأتيك النوم.

لماذا؟ لأنك غريب، والإنسان بطبيعته إذا كان غريبًا قد لا يستطيع النوم بسهولة.

انظر لأصحاب الكهف؛ مهددون بالقتل، دخلوا الكهف مضطرين، لأن النهار طلع عليهم وهم يهربون من المدينة، لأن الملك توعدهم بالقتل.

فدخلوا من باب أن ينجوا بأنفسهم الليلة المقبلة ويكملوا المسير بعيدًا عن المدينة الظالمة.

الكهف عبارة عن صخور في الجبل، ظلمة، رطوبة، حشرات، ديدان، حيات، عقارب، كل ما تتخيله، وعندهم ما عندهم من الخوف من الملك الظالم.

وعلى الرغم من هذا، لم يناموا ساعة ولا ساعتين!! بل ناموا 309 سنوات! سبحان الله! والله، هذا من آيات الله.

يا إخواني، الخائف صعب أن ينام.

المستوحش صعب أن ينام.

النوم نفسه على الصخر، في مكان غير مهيأ لمعالم حياة صعبة، كيف تنام؟

ولكنهم ناموا نومًا عميقًا هادئًا. أطول نومة في تاريخ الإنسانية كلها، 309 سنوات.

ولما آووا إلى الكهف قالوا: **(ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدًا)** [الكهف: 10]

وفي نفس سياق الآيات، تقرأ: **(فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته)** [الكهف: 16]

لما ينزل الله عليك الرحمة فلا تستوحش، ولا تفزع، ولا تخاف... فناموا نومًا عميقًا

النعاس بغزوة أحد:

هذا يذكرنا بالنبي صلى الله عليه وسلم والصحابة في غزوة أحد، لما اشتد الأمر جدًا، ماذا حدث؟

ألقى الله عليهم النعاس... ليس نعاسًا يعني النوم العميق، كلا، بل هو الغفلة اليسيرة لتهدأ نفوسهم.

الموت والقتل أمام أعينهم وتغفو أعينهم ...سبحان الله!!

ربنا سبحانه وتعالى قال في سورة آل عمران: **(إذ يغشيكم النعاس أمنة منه)** [آل عمران: 154]

ليؤمنهم، وليهدأوا ويسكنوا، الموت أمامهم وهذا شيء يجعل الإنسان لا يستطيع التفكير فضلا عن النوم.

الانتكاسة التي حصلت في غزوة أحد، والإشاعة أن الرسول قُتل، والضغط الشديد، كل هذا سبب ارتباكًا كبيرًا جدًا.

فرب العالمين جل جلاله ينزل على المؤمنين نعاس الأمنة، هذه رحمة من الله سبحانه وتعالى.

ولذلك كان ابن مسعود يقول: النعاس في القتال من علامات المؤمنين، والنعاس في الصلاة من علامات المنافقين وقرأ قول الله تعالى: **(وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى)** [النساء: 142] فسبحان الله العظيم!

والكلام عن رحمة الله يطول، لكن الخلاصة، أننا نتعامل مع رب رحيم، بل هو أرحم الراحمين.

رحمته سبقت غضبه

فهو حليم لا يعجل بالعقوبة

وهو لا يعجل بالعقوبة إلا بعد إقامة الحجة، والإنذار، والإعذار، والإمهال، فإذا أخذ من يأخذ، كان أخذه أليمًا شديدًا.

نسأل الله تعالى أن ينشر لنا من رحمته،

وأن يهيئ لنا من أمرنا مرفقًا،

وأن يغمرنا بواسع فضله ورحمته ولطفه وفيض كرمه

اللهم آمين

****

الخاطرة (25)

قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: قال الله عز وجل: (يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار) رواه البخاري ومسلم.

وجاء الحديث بألفاظ مختلفة منها رواية مسلم: قال الله عز وجل: (يؤذيني ابن آدم يقول: يا خيبة الدهر، فلا يقولن أحدكم: يا خيبة الدهر، فإني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فإذا شئت قبضتهما)

ومنها رواية للإمام أحمد: (لا تسبوا الدهر فإن الله عز وجل قال: أنا الدهر الأيام والليالي لي أجددها وأبليها وآتي بملوك بعد ملوك) وصححه الألباني

ما هو الدهر؟

الدهر هو الزمن: الأيام، الليالي، الساعات، الدقائق، هذه تسمى الدهر، والدهر هو ظرف زمان للأحداث، هذه الأحداث منها ما هو خير ومنها ما هو شر.

فكان من عادة العرب، ومن عادة بعض الناس إلى الآن، لما يصاب بمصيبة، أن يسب الدهر، فكانوا قديما يقولون: خيبة الدهر، تبا للدهر.

ونحن في تعبيراتنا الدارجة نقول: هذا يوم ملعون، هذا يوم نحس، سنة سوداء.

وهذا كله سب للدهر، والدهر هو ظرف زمان وليس فاعلًا لشيء.

هذه اللحظة التي نحن فيها الآن هي جزء من الزمن.

نحن الآن نصلي، غيرنا نائم، ثالث مسافر، رابع في المستشفى، خامس في كربة وشدة، وهكذا...

العباد يتفاوتون: منهم من هو في فرح، ومنهم من هو في حزن، منهم من هو في يقظة، ومنهم من هو في نوم، إلى غير ذلك.

لكن لا علاقة للزمان بما يحدث لزيد أو لعمر، لا علاقة له بذلك؛ كل هذا يجري بمقادير الله سبحانه وتعالى

يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر

والإيذاء هنا ليس معناه أن الله يتضرر، حاشاه جل وعلا، فإن الله قال في الحديث الآخر: **(يا عبادي، إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني، ولن تبلغوا ضري فتضروني)**

مثلا للتقريب: الإنسان منا -ولله المثل الأعلى- قد يتأذى من الرائحة السيئة لكنها لا تضره، ويتأذى من الكلمة السيئة لكنها لن تضره، كذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم ما قال في الحديث عن الثوم والبصل، لكنه لا يتضرر منهما.

فمعنى يؤذيني ابن آدم

أي أنه ينطق بما لا يليق بالله جل وعلا؛ فهو حينما يسب الدهر لا يسب ظرف الزمان، بل يسب الفاعل المقدر للأمور، وهو الله عز وجل، فهنا، سخطك على ما حدث، وعدم رضاك بما جرى، هو سب للفاعل وليس سبًا لظرف الزمان.

مثال 1: عندما تصدر بعض القوانين السيئة، تجد الناس يقولون: حكومة ظالمة هل الحكومة عبارة عن مبنى ومكاتب وموظفين؟ كلا، المقصود هنا رأس الحكومة، القائمون على الحكومة.

مثال2: شركة أصدرت قرارًا ظالمًا أو تعسفيًا: منعت الإجازات أو خفضت الرواتب يقول الناس: شركة ظالمة المقصود ليس الشركة نفسها الحوائط والمكاتب، بل من يديرون هذه الشركة.

فأنا حينما أقول: هذا يوم أسود، أو هذا يوم ملعون، أو ما شابه ذلك، فإنما أسب الذي قدر هذا القدر في هذا اليوم، وأسب الذي دبّر وأراد وقوع هذا الحادث.

مثال3: يحدث حادث في شارع، فيقول أحدهم: أنا لا أتفاءل بهذا الشارع أبدًا سبحان الله! ماذا فعل بك الشارع؟ الشارع ليس له تدبير ولا تقدير.

مثال4: تأثر الناس ببعض الأشياء التي يظنون أنها تجلب الحظ أو النحس؛ مثلًا: يقول أحدهم: رأيت فلانًا يقصد التشاؤم به، أو الرقم الفلاني.

كل هذا خرافات وأوهام لا ينبغي أن يتعلق قلب المسلم إلا بالله، فهو الفاعل المقدر لكل شيء سبحانه وتعالى.

إذن، حينما أسب الدهر، فإنما أسب الفاعل المقلب المدبر للأمور وهو الله جل جلاله

هل الدهر من أسماء الله؟

البعض يتوهم أن الدهر اسم من أسماء الله، وهذا غير صحيح، وهذا ما يسمونه في اللغة تعبيرًا مجازيًا

ولذلك قال العلماء: إن أي اسم من أسماء الله يشتق منه صفة مثلًا: الرحمن يشتق منه الرحمة، القوي يشتق منه القوة، العليم يشتق منه العلم.

لكن لو قلنا إن الدهر من أسماء الله، فما هي الصفة التي تشتق منه؟

لا توجد صفة لذا، فهذا ليس من أسماء الله على الحقيقة، وإنما هو إسناد الأمر على سبيل التقريب.

وقد يتساءل البعض: ولكننا نقرأ قوله تعالى (في يوم نحس مستمر) ونسمع العلماء يدعون (اللهم أرنا في أعدائنا يوما أسودا قبل الممات) فكيف نوفق بين الآية وما سبق من النهي عن سب الدهر؟

والجواب :

أن هذا من قبيل وصف ما جرى في هذا اليوم وليس سبا له فمثلا لو قلت عن فلان أنه أعرج أريد سبه فهذا حرام، أما إذا قصدت وصفه والتعريف به كأن تُسأل عنه فتصفه بفلان الأعرج أو الأعمى فهذا ليس بحرام، وقد وصف الله ابن أم مكتوم في القرآن بالأعمى في سورة عبس.

وفي قصة لوط عليه السلام، قال: **(هذا يوم عصيب)** [هود: 77]، أي أنه يصف شدة وصعوبة ما جرى في هذا اليوم كذلك الله تعالى وصف عذاب قوم عاد قائلًا: **{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ}** [القمر: 19]

إذن فمعنى نحس اليوم بالنسبة للكفار الهالكين وصف لمآل كفرهم لا إلى ذات اليوم، فمن المعلوم أن ذلك اليوم لم يكن نحساً على الصالحين، بل على الكفار من قوم عاد، وكان يوم نصر وتأييد للمؤمنين الصادقين.

فإذا قلت شيئًا على سبيل الوصف لما جرى في هذا اليوم، مثل: كان يومًا طويلًا، أو كان يومًا عصيبًا، أو كان يومًا سيئًا، فهذا لا بأس به، لكن إذا قلت ذلك على سبيل السخط وعدم الرضا بقضاء الله، فهذا هو المنهي عنه في الحديث.

بل عندنا من العلماء من اتصف ببعض هذه الصفات ولم يكن يتضايق من ذلك، مثل الإمام الأعمش، وهو من كبار العلماء، كذلك من رجال البخاري الأعرج، ووُصف بذلك، ولم يكن هذا إهانة له.

فيجب على المسلم أن يدقق في ألفاظه وكلماته، ويعلم أنه حينما يسب الزمان فإنما يسب الفاعل المدبر للأمور كلها، وهو الله سبحانه وتعالى.

كما قال الإمام الشافعي رحمه الله:

نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا
ونهجو ذا الزمان بغير ذنب
ولو نطق الزمان لنا هجانا

****

نسأل الله سبحانه وتعالى

أن يوفقنا وإياكم إلى ما يحبه ويرضاه،

وأن يثبتنا على الحق إلى أن نلقاه اللهم آمين.

الخاطرة (26)

يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة

في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون، ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟

هذا الحديث، يخبر فيه نبينا صلى الله عليه وسلم عن أمرٍ من الأمور الكائنة بين يدي الساعة، حينما يأذن الله بنهاية هذا الكون وزواله، **(يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات)** [إبراهيم: الآية 48]، فلا أرض ولا سماء، الكل قد فني، الكل قد انتهى، كما قال تعالى: **(يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين)** [الأنبياء: الآية 104]

ما هو أول الخلق؟

العدم لا شيء، لا سماوات ولا أرض، لا إنس ولا جن ولا ملائكة، وكل هذه المخلوقات ستفنى **(كل شيء هالك إلا وجهه)** [القصص: الآية 88]

الطي معروف، لو أن عندك صفحة تضم أطرافها ثم تطويها، ولذلك قال: كطي السجل للكتاب سبحان الله!

هذا الحديث إشارة إلى قدرة الله وعظمته وجلاله هذه السماوات العظيمة الكبيرة الممتدة تُطوى كما تُطوى صفحة من كتاب، وهذه الأرضين السبع كلها تُطوى كما تُطوى صفحة من كتاب جل جلاله!

ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما السماوات السبع والأرضين السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في كف أحدكم.

الله أكبر! هذا الكون، سماوات وأرض، في كف الرحمن جل وعلا لا شيء.

ولذلك نحن نقول دائمًا: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [الشورى: الآية 11] لأن هذا أمر يعجز الإنسان عن تخيله وتصوره سبحان الله العظيم!

فالنبي صلى الله عليه وسلم يخبر أن الله تعالى يطوي السماوات، ثم يأخذهن بيمينه، ثم يقول: أنا الملك

وهذا اليوم لا ملك إلا لله عز وجل.

في الدنيا هناك ملوك ومالكون: ملوك يحكمون الأرض، ومالكون يملكون أشياء مثل الأراضي أو الأموال، وفي سورة الفاتحة قال الله: **(مالك يوم الدين)** [الفاتحة: الآية 4]

لماذا قال مالك يوم الدين والله مالك الدنيا والآخرة؟

قالوا: لأن في الآخرة لا ينازع الله في ملكه أحد لا أحد يأتي ويقول: أنا أملك كذا أو أنا كنت حاكمًا على دولة كذا كل هذا قد زال، انتهى.

كل الأرض انتهت، ليس لها وجود فهنا، يوم الدين، لا مالك ولا ملك إلا الله سبحانه وتعالى.

ثم ينادي بعزته وجلاله، والاستفهام هنا للتحدي:

أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟

أين الذين كانوا يتكبرون على خلق الله أو يتجبرون بقوتهم وما آتاهم الله من سلطان؟

النبي صلى الله عليه وسلم، أخبر أن المتكبرين يوم القيامة يُحشرون كأمثال الذر

تأمل، رب العزة يحقرهم إلى هذا الحد! الذرة، وهي النملة الصغيرة، يُصبحون أقل منها سبحان الله! تطؤهم أقدام الناس.

هذا الذي ملأ الأرض ضجيجًا وتكبرًا، والناس تركع بين يديه أو تسجد، يُصبح في ذلك الموقف لا شيء.

هذا سؤال تحدٍّ: أين الجبارون؟ أين ملكهم؟ أين سلطانهم؟ أين جنودهم؟ سبحان الله!

هارون الرشيد ساعة الموت:

لما أخبر الطبيب هارون الرشيد أنه اقترب أجله، قال: احملوني إلى قبري فحملوه، والجند مصطفون، ورجال الدولة والحاشية والبطانة معهم فلما نظر إلى قبره بكى وقال: يا من لا يزول ملكه، ارحم من قد زال ملكه.

ثم نظر إلى حاشيته وجنوده وقال: (ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه) [الحاقة: الآيتان 28-29]

الله جل في عليائه ينادي:

أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟

(لمن الملك اليوم)

فلا يُجيب أحد من الخلق؟ فالكل قد فني.

يجيب الله نفسه بنفسه **(لله الواحد القهار)** [غافر: الآية 16]

فكتب الله الفناء على كل خلقه، وهو المتفرد بالبقاء جل جلاله!

ثم يطوي الله تعالى الأرضين ثم يأخذهن بشماله:

بكل ما فيها وكل ما تحمله من مخلوقات، وكائنات ومبانٍ، وكل هذا يطويه الله عز وجل. بقدرته العظيمة جل جلاله!

ثم يأخذهن بشماله

هذه اللفظة، بعض العلماء توقفوا عندها هناك حديث يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم: **(إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين)**

هل وصف الله بأن له يد شمال فيه نقص؟

بعض العلماء استنكروا هذه اللفظة، لكن الرواية في صحيح مسلم، وهي من أعلى درجات الصحة، فوصف الله بأن له يدًا شمالًا ليس فيه نقص، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كلتا يديه يمين، وهذه إشارة إلى الكمال المطلق في صفات الله عز

وجل، أي أن الله سبحانه وتعالى منزّه عن صفات النقص التي في المخلوقين ففي المخلوقات تكون اليد اليمنى غالبًا أقوى من اليد اليسرى، لكن عند الله كلتا يديه يمين، وهذا يعني أن كل أفعاله عظيمة ومليئة بالخير والكمال والقوة، ولا نقص فيها.

فالله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، كما قال في كتابه: **(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)** [الشورى: الآية 11]، وهذا يعني أنه لا يمكننا أن نقيس الله عز وجل بصفات المخلوقين، فكل ما يخطر في بالنا من صفات فهو مخلوق، والله خالق كل شيء، لذلك لا يمكننا أن نقارن قدرة الله بقدرة مخلوقاته أو صفاته بصفاتهم.

فالحديث عن أن الله يقبض الأرض بيمينه ويأخذ السماوات بشماله لا يحمل أي نقص، طالما أن الحديث قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث يماثل قول الله تعالى: **(وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون)** [الزمر: الآية 67]

روى البخاري في قوله تعالى :وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ عن عبد الله بن مسعود قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد: إنا نجد الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ :وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الآية

وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول :يقبض الله تعالى الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: إن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر :يمجد الرب نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم، فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا: لَيَخِرَّن به رواه مسلم

إنه مشهد نهاية الدنيا ونهاية الكون تتمثل في هذه الآية وهذه الأحاديث، حيث يظهر صغر وضآلة حجم هذا الكون العظيم، على الرغم من امتداده واتساعه، أمام قدرة الله

عز وجل فالسماوات والأرضين السبع بكل ما فيها تصبح كأنها لا شيء مقارنة بعظمة الله وجلاله.

وهذا الحديث يبين لنا أن الجبارين والمتكبرين الذين كانوا يملؤون الأرض ظلمًا وجبروتًا وسلطانًا سيحشرون يوم القيامة أذلاء، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: يحشر المتكبرون يوم القيامة كأمثال الذر يطؤهم الناس بأقدامهم.

فهذه رسالة لكل إنسان أن يتواضع لله عز وجل، وأن يعلم أن كل ما يملكه من مال أو قوة أو سلطان زائل، ولن يبقى إلا الله سبحانه وتعالى.

الله عز وجل قادر على إفناء الجميع وتفرده بالبقاء سبحانه وتعالى فهو يتحدى الذين كانوا يدّعون الكبرياء، وملأوا الأرض ضجيجًا وكفرًا وكبرًا.

يتحداهم الله يوم القيامة: هل يستطيعون فعل شيء؟

لا يملكون جوابًا، ولا يستطيعون أن يأتوا بأنفسهم فلا جبارون، ولا متكبرون وإنما يُحشرون على صورتهم كأمثال الذر، والعياذ بالله.

******

نسأل الله سبحانه وتعالى

أن يجعلنا من عباده الصالحين،

القانتين، المتواضعين،

وأن يجعلنا يوم القيامة في زُمرة الصالحين

اللهم آمين

****

الخاطرة (27)

شرح دعاء الكرب

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ ، وَرَبُّ الأَرْضِ ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ)رواه البخاري ومسلم

شرح الحديث

قال الإمام الطبري: كان السلف يدعون به ويسمونه دعاء الكرب.

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوله عند كربه وإذا حزبه أمر أي: إذا نزل وألمَّ به أمر شديد.

وقَالَ الإمام النَّوَوِيُّ رحمه الله تعالى: هَذَا حَدِيثٌ جَلِيلٌ يَنْبَغِي الِاعْتِنَاءُ بِهِ، وَالْإِكْثَارُ منْهُ عِنْدَ الْكَرْبِ وَالْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ.

قَوْلُهُ (كانَ يَقولُ عِندَ الكَربِ)

الْكَرْبِ: هو الحُزْنُ والغَمُّ الذي يأْخذُ بالنَّفْس وجمعه كُرُوبٌ وكَرَبه الأَمْرُ اشْتَدَّ عليه.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: والمكروه الوارد على القلب إن كان من أمر ماض أحدث الحزن، وإن كان من مستقبل أحدث الهم، وإن كان من أمر حاضر أحدث الغم.

لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ

معنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، وهي تنفي الإلهية بحق عن غير الله سبحانه، وتثبتها بالحق لله وحده كما قال الله عز وجل: **(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ) [الحج 62]**

وفي هذا الدعاء دلالة واضحة على أن أعظم علاج للكرب، هو التوحيد الخالص لله تعالى، وأن ترديد هذه الكلمات مُذْهِبٌ للكرب، والهمّ، والغمّ، فما دفعت شدائد الدنيا، وأهوال الآخرة بمثل التوحيد، فإذا قالها المسلم مُتأمِّلاً لمعانيها مُتفكِّراً في دلالاتها:

سكن قلبه، واطمأنّت نفسه، وزال عنه كربه، وشدته، فلا يثبت الكرب والهمّ أمام كلمات التوحيد والتعظيم الخالص للَّه تعالى رب العالمين.

الْعَظِيمُ

ذو العظمة والجلال، فهو عظيم الشأن جليل القدر، لا شيء أعظم منه سبحانه، وليس لعظمته بداية ولا لجلاله نهاية، فلا يتعاظم عليه مسألةٌ؛ لأن الْعَظَمَة تَدُلّ عَلَى تَمَام الْقُدْرَة، وأمام هذه العظمة لا بد أن يعلم الإنسان أنه ضعيف بخلقته وطبيعته، ولاستبدال هذا الضعف قوة فإن عليه أن يكون من المطيعين لله ، حتى يقوى ، ويكون من المقربين، فإنه لو عصى الله ، وتكبر عليه ازداد ضعفاً ، وذلاً وهواناً ، وبُعداً من ربه.

الْحَلِيمُ

الحليم هو الذي لا يسارع بالعقوبة، بل يتجاوز عن الزلات ويعفو عن السيئات.

يقول ابن كثير: يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه وهو يحلم، فيؤخر وينذر ويؤجل ولا يعجل، ويستر آخرين ويغفر.

فلا يستفزه غضب، ولا يستخفه جهل جاهل، ولا عصيان عاص؛ فهو لا يعجل بالعقوبة، بل يمهل لخلقه من غير إهمال، ولن تفوته عقوبتهم لو أراد، كما هو الحال في البشر، لأن العجلة من شأن من يخاف فوات الفرصة، ورب السماوات والأرض لا يفوته شيء أراده.

ما السر في اقتران اسم الله العظيم باسم الحليم؟

اقتران اسمه تعالى: العظيم باسم الحليم دلالة على كمال آخر فوق الكمال، ففي اقترانهما دلالة كمال عظمته مع حلمه تعالى عكس البشر، فإنه قد يكون عظيماً، وليس بحليم، وقد يكون حليماً وهو ذليل، فهو تعالى لم تمنعه عظمته من الحلم بخلقه، ولم يكن حلمه جل وعلا عن ضعف وعجز، بل عن كمال العظمة والجلال، وكذلك سعة حلمه مع كمال عظمته جل وعلا، فهو العظيم الحليم على الإطلاق.

ووجه ذكر اسمه تعالى (العظيم)؛ لأنه تعالى لا يتعاظم عليه شيء مهما كان، ومن ذلك تفريج الكروب والهموم، فكأنه يقول: يا رب أنت العظيم الذي لا يتعاظم عليك شيء، وأنت الحليم فلم تُعجِّل عليَّ عقوبتك مع كثرة ذنوبي، وأنت رب السماوات والأرض، ورب أعظم مخلوقاتك عرشك العظيم، أسألك أن تَفْرُجَ عنِّي: كربي، وهمّي، وغمّي.

ووجه ذكر اسمه تعالى (الحليم) في هذا الدعاء المبارك: لأن كرب المؤمن غالباً يكون بسبب تقصيرٍ في حق ربه؛ فإن المصائب بسبب الذنوب قال تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ **[الشورى: 30]** وقد يكون حصول الكرب بسبب الغفلة.

وفي تكرير ذكر العرش لأنه أعظم المخلوقات، والموجودات وتنبيهاً على عظم شأن خالقه عز وجل فإن من كان كذلك لا يعجزه أي أمر مهما كان.

لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

معنى الرب في اللغة يُطْلق على المالك والسيد والمربى، ولا يطلق غير مضافٍ إلا على الله تعالى، وإذا أطلق على غيره أضيف، فيقال رب الدار. واستخدام لفظ الرب من بين سائر الأسماء الحسنى لكونه مناسبا لكشف الكرب الذي هو مقتضى التربية.

وتخصيص العرش بالذكر لأنه أعظم مخلوقات العالم، فيدخل الجميعُ تحتَه دخولَ الأدنى تحت الأعلى.

ما هو العرش ؟

العرش هو أعظم المخلوقات ، وعليه استوى ربنا استواءً يليق بجلاله ، وله قوائم ، ويحمله حملة من الملائكة عظام الخلق ، قال تعالى : **{ فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش العظيم } [المؤمنون / 116] ، وقال تعالى { وهو رب العرش الكريم } [التوبة / 129]**

قال القرطبي : خصَّ العرش لأنه أعظم المخلوقات فيدخل فيه ما دونه.

وقال ابن كثير : **{ وهو رب العرش العظيم }** أي : هو مالك كل شيء وخالقه ؛ لأنه رب العرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات ، وجميع الخلائق من السموات

والأرضين وما فيهما وما بينهما تحت العرش مقهورين بقدرة الله تعالى ، وعلمه محيط بكل شيء ، وقدره نافذ في كل شيء ، وهو على كل شيء وكيل.

لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ، وَرَبُّ الأَرْضِ

خالِقُ كُلِّ شَيءٍ فيهما، وَمالِكُه، وَمُصلِحُه، والمُتَصَرِّفُ فيه كَيفَ شاءَ، وكما شاءَ.

وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ

ووصف العرش هنا بالكريمِ أي الحَسَنِ؛ فهو ممدوحٌ ذاتًا وصفةً من حيث الكيف.

وفي الجملة الأولى: وصف العرشَ بالعظمة من حيث الكَمِّ، وهنا (رَبُّ العَرشِ الكَريمِ) فَقَد وَصَفَه بالكَرَمِ، أي: بِالحُسنِ مِن جِهة الكَيفيةِ، ووَصَفَه بالعَظَمةِ مِن جِهةِ الكَمَّيةِ.

****

الخاطرة (28)

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم أن عبدا من عباد الله قال: يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها، فصعدا إلى السماء وقالا: يا ربنا إن عبدك قد قال مقالة لا ندري كيف نكتبها قال الله عز وجل – وهو أعلم بما قال عبده –: ماذا قال عبدي؟ قالا: يا رب إنه قال: يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك فقال الله عز وجل لهما: اكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها رواه ابن ماجه قال الشيخ أحمد شاكر في التفسير: إسناده جيد وضعفه الألباني

شرح الحديث:

النبي صلى الله عليه وسلم حدثهم أن عبدا من عباد الله

في بعض الروايات أن القائل هو نبي الله داوود عليه السلام:

قال ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر: (حدثنا علي بن الجعد قال: سمعت سفيان بن سعيد -يعني الثوري- وذكر داود عليه السلام فقال: الحمد لله حمدا كما ينبغي لكرم وجه ربي عز جلاله فأوحى الله إليه: يا داود أتعبت الملائكة)

فعضلت بالملكين، فلم يدريا كيف يكتبانها

أي اشتدت على الملكين هذه الكلمة فلم يعلما مقدار ما يكتب لها من الثواب ليكتباه لقائلها والملائكة الكتبة يعلمون جيدا كيف يكتبون أجور الأعمال، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، لكن حينما أرادا تقدير ثواب هذا الحمد عجزا عن تقديره، لأن أجرها عظيم لا يعلمه إلا الله تعالى، ولم يطلعهما على مقداره.

فصعدا إلى السماء وقالا: يا ربنا إن عبدك قد قال مقالة لا ندري كيف نقدر ثوابها ، قال الله عز وجل – وهو أعلم بما قال عبده –: ماذا قال عبدي ؟ قالا: يا رب إنه قال: يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك فقال الله عز وجل لهما: اكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها

فهي تكتب هكذا كما قالها دون كتابة ثواب لها فإن الذي سيتولى تقدير ثوابها هو الله جل جلاله أكرم الأكرمين.

فما السر في ذلك؟

هذا ما سنعرفه عند شرحنا

يا رب

يجوز أن تكون بضم الباء على إعرابها منادى مفرد مبني على الضم، وكسرها على حذف ياء المتكلم لأن أصلها يا ربي.

لك الحمد

وتقديم الجار والمجرور لإفادة الاختصاص فالحمد له وحده جل وعلا.

كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك هنا السر في عجز الملكين عن تقدير ثواب هذا الحمد.

كما ينبغي لجلال وجهك

الجلال من جلّ الشيء إذا عظم وجلال الله عظمته وقدره، ويقال أمر جلل: معناه الأمر العظيم الذي لا طاقة للكل به، فالمعنى حمدا كما يليق بعظمة الله سبحانه وتعالى.

فهو سبحانه صاحب الجلالة، لأنه لا شرف، ولا مجد، ولا عزة، ولا قوة، إلا وهي له، فهي له وبه ومنه، والجلال فيه معنى يتضمن التعظيم والتسبيح والخضوع، والجلال يعني التنزيه، تقول: جل جلاله؛ أيْ تنزهت ذاته عن كل نقص.

وجلال الله منزه عن الأنصار والأعوان: أحياناً يستمد الإنسان هيبته ممن حوله، ومن أنصاره، وأعوانه، وجماعته، ومن القوة التي بيده، ومن الأشخاص الذين حوله؛ لكن الله عز وجل منزه في جلاله عن الأعوان والأنصار.

أما الإنسان؛ فجلالته قد تكون من ماله، أو مكانته من علمه، أو مكانته من سلطته؛ هذه المكانة مشوبة ومفتقرة إلى شيء؛ فجلال الله عز وجل منزه عن الأسباب؛ لأنه ذو جلال بذاته من دون سبب منفصل عنه.

هارون الرشيد:

نام هارون الرشيد على فراش الموت، فنظر إلى جاهه وماله ثم قال :**(مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ)** [الحاقة:28 – 29]، وقال :أريد أن أرى قبري الذي سأدفن فيه، فحملوا هارون إلى قبره، فنظر إلى القبر وبكى، ثم نظر إلى السماء وقال :يا من لا يزول ملكه! ارحم من قد زال ملكه.

القذافي مجنون ليبيا:

الظالم القذافي كان يحلو له أن يسمي نفسه بملك ملوك أفريقيا، ظن أنه ملك الأرض ومن عليها، واعتبر الناس كالجرذان كما كان يخاطب معارضيه دوما، فكان يستمد جلاله من جنده وحاشيته وأمواله، فلما حيل بينه وبين ملكه جاءه أمر الله من حيث لا يحتسب، وأمسكوا به مختبئا عند ماسورة صرف صحي، فأخرجوه منها متوسلا باكيا ذليلا يسترحم من لم يرحمهم يوما، يبكي لمن لم يسمع بكاءهم يوما.

كما ينبغي لجلال وجهك

وجه الله يدل على ذات الله سبحانه وتعالى، وهو من صفات الله التي تليق بجلاله وعظمته، كما قال تعالى :**(وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ والإكرام)** [الرحمن: 27]

أي أن كل شيء فانٍ إلا الله، ويبقى وجهه، وهو كناية عن ذاته سبحانه وتعالى.

وجاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم :**(أسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، برحمتك يا أرحم الراحمين)** رواه النسائي وأحمد

وجه الله الكريم يتصف بالجلال والعظمة والهيبة والجمال وكمال الحسن وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :**(إن الله جميل يحب الجمال)** رواه مسلم

وعظيم سلطانك

يقول سبحانه: **(ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض البقرة 107، وقال تعالى: لله ملك السماوات والأرض والله على كل شيء قدير)** [آل عمران 189]

إن عظمة ملك الله لا يعلمها إلا الله – جل وعلا -، ولكن الله – جل وعلا – بين لنا ما يدل على عظمته بقدر ما تتسع له عقولنا وإلا فإن عظمة الله – تعالى -لا يحيط بها ولا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ**﴾ [البقرة: 255]

قال ابن كثير – رحمه الله -: أيْ: لا يطَّلع أحدٌ مِن علْم الله على شيء إلا بما أعلمه الله – عز وجل – وأطْلَعه عليه، ويحتمل أن يكون المرادُ: لا يطَّلِعون على شيء من علم ذاتهِ وصفاتهِ إلا بما أطْلعهم الله عليه، كقوله: ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا**﴾ [طه: 110] اهـ كلامه – رحمه الله

وقد جاء في آية الكرسي قوله عز وجل: **{وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}** [البقرة: 255]

وإذا كان كرسي الله الذي هو موضع قدميه سبحانه قد وسع السماوات والأرض فما نسبته للعرش؟ ثم ما نسبة العرش لله سبحانه؟!!

وفي حديث أبي ذر الغفاري الطويل أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، فأيُّ ما أنزل الله عليك أعظم؟، قال: آية الكرسي ثم قال: يا أبا ذر، ما السماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة

إن الناظر إلى الكون وما يحويه من كواكب عظيمة وأفلاك ضخمة بعد تطور أجهزة الأرصاد والكشف وتقريبها للبعيد ليرى العظمة التي يحار دونها العقل! إذا كانت هذه الأرض التي تعيش عليها الكائنات الحية ما هي إلا كذرة في الكون! فكيف إذا قورنت الأرض الصغيرة المعلقة في الهواء بالمجموعة الشمسية!!!

ثم ما النسبة إذا قورنت هذه المجموعة بالمجموعات الأخرى؟!

وكل هذه المخلوقات ما هي إلا من مكونات السماء الدنيا!!!

فكيف بالسماوات الأخرى وما تحويها من عجائب لا يعلمها إلا الله؟

هل هناك عالم غير مرئي لنا؟

نعم فهذا الكون الفسيح بمجراته وأفلاكه لم يخلقه الله عبثا ولا سدى؛ فهذا الكون كما قال بعض علماء الفلك كمكتبة فيها مليون مجلد الأرض بالنسبة للكون تمثل نقطة فوق حرف في كتاب من كتب هذه المكتبة!!!

وقال تعالي: **(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ)** [الشورى:29]

وقال: **(وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ)** [النحل:49]

فهاتان الآيتان تدلان على أن هناك خلقا لا نراهم ولا نعلم عنهم شيئا غير الجن والإنس والملائكة، والدليل على ذلك: أن لفظة دابة ليس المراد بها الملائكة لأنها جاءت معطوفة عليها كما في الآية الثانية، والعطف يفيد التغاير.

فمثلا نقول: جاء محمد وأحمد؛ فنحن نخبر عن شخصين متغايرين بخلاف لوقلت: جاء محمد أحمد؛ فأنت تخبر عن شخص واحد، فالدواب التي تسجد في السماوات لا شك أنها غير الملائكة.

ونريد أن نصل بهذا إلى أن الله رب العالمين رب كل شيء نراه أو نؤمن به أو خفي عنا علمه وحقيقته وندرك مدى عظمة الله رب العالمين.

يقول الدكتور حسني حمدان: وكوننا الذي نراه عظيماً في اتساعه واتساقه يمثل دائرة نصف قطرها 30 ألف مليون سنة ضوئية بمعنى أننا لو بدأنا السفر من أقصى نقطة في الكون بسرعة 300 ألف كيلومتر في الثانية، وهي السرعة الكونية العظمى، فسنحتاج إلى 30 مليار سنة لنصل إلى أقصى نقطة في الطرف الآخر من الكون

وعلماء الكون يتساءلون بشدة هل يوجد عالم غير عالمنا المرئي، وما هي أبعاد الأكوان إن وجدت، إننا لا نراها، ولكن ربما تكون موجودة، حقا إننا لا نرى كل موجود، ولا نبصر كل كائن، ورب العالمين يقول: **(فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ)** [الحاقة: 38-40]

ويتنادى علماء الكون بأن كوننا قد يكون برمته مجرد غشاء رقيق في الفضاء الكامل الأبعاد، وتثار في الأوساط العلمية اليوم كثير من الأسئلة المحيرة حول وجود عوالم أخرى في ذلك الخلق العظيم.

ومن عينة تلك الأسئلة هل توجد عوالم تحكمها قوانين غير متطابقة مع القوانين التي تسود عالمنا؟ أين يسافر الضوء بسرعة أكبر؟ أين تكون الجاذبية أقوى مما نعرف؟ وأين تكون الرابطة النووية ضعيفة؟ وأين توجد كهارب إلكترونات أقل في الشحنة؟ وأين توجد أكوان مختلفة عن كوننا؟ وأين تختفي العناصر الكيميائية فيما عدا الأيدروجين والهليوم؟ أين يوجد العالم الخالي من النجوم؟ وأين توجد الذرات التي تتكون من البروتونات المضادة والنيترونات المضادة التي تدور حولها البروتونات؟ وأين يرتد الزمن إلى الوراء؟ أين تتوحد القوى؟

ويعتقد كثير من العلماء بوجود عوالم أخرى غير عالمنا، ومنهم ماكس تجمارت وجون كريمر وسوزان ويلز ودافيد هويتاويس[11]

لا يغيب عنه شيء:

ومع هذا الملك الواسع فإنه سبحانه لا يغيب عنه شيء، قال تعالى: **(يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ)** [لقمان: 16]

والمِثْقال: ما يُقَدَّر به الثِّقَل، يعني: ما يُوزَن به الشيءُ.

(11) الرابط / مشاهدات كونية

والخَرْدَل نباتٌ له ساق وله أوراق، لكن حبوبه صغيرة جدًّا في نهاية الدقة؛ الواحدة منه تسمى خَردلة.

ومعنى الآية: لو كانت حبة الخردل في داخل صخرة صُّلبة صَمَّاء، أو كانت في مكان أعزَّ مَنالًا فَسِيحًا لا يُدْرَى بها فيه كالسماوات، أو تكن في أي مكان في الأرض يَأْتِ بِهَا اللَّهُ، فكلُّ ذلك في جَنْب علم الله تعالى سواءٌ.

سواء كانت في أي مكان من العالم العلوي أم السفلي، كما قال – سبحانه وتعالى – عن نفسه: **(لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)** [سبأ: 3] ومعنى لا يعزب: لا يغيب

وكونُه – سبحانه وتعالى – يأتي بها فذلك دليلٌ التمكُّن، ودليل العلم التام؛ لأن الإتيان بأدق الأجسام من أقصى الأمكنة وأعمقها وأصلبها لا يكون إلا عن عِلمٍ بكونها في ذلك المكان، وعن عِلم بأسلوب استخراجها سليمةً من ذلك المكان فالمعنى الأول: أنه لا يأتي بها إلا وهو عالِمٌ بمكانها، أليس كذلك؟ والمعنى الثاني: أنه لا يأتي بها إلا وهو قادِرٌ على الإتيان بها.

من أجل ذلك عجزت الملائكة عن تقدير ثواب هذا الحمد ... فالذي يعلم ثوابه هو الله وحده ... أكرم الأكرمين هو الذي سيتولى العطاء

اكْتُبَاهَا كَمَا قَالَ عَبْدِي حَتَّى يَلْقَانِي فَأَجْزِيَهُ بِهَا

فإذا تولى الكريم سبحانه وتعالى الجزاء والهدية والعطية، فاعلم أنها لا منتهى لها، فتصور لو أن ملكاً من ملوك الدنيا قال لعامله: كافئ فلاناً فإنه قد خدمنا، فإن مكافأة هذا العامل محدودة ولا شك، لكن لو قال العامل لهذا الملك: هل أكافئ فلاناً؟ فقال له الملك: لا، دعه، فأنا سأكافئه، فكيف ستكون الفرحة لدى هذا العامل الذي عمل وخدم هذا الملك قبل أن يقبض الهدية؟

إنها ستكون فرحة عظيمة، وقلَّ إن يكون هناك ملك من ملوك الدنيا بخيلاً؛ لأن البخل يتنافى مع الملك، فتصور لو أن ملكاً من ملوك الدنيا كافأ رجلاً من شعبه، فلا بد أن تكون هذه المكافأة عظيمة جداً.

الخاطرة (29)

مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله

روى البخاري عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم أحد ما يكون في غد، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدا، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وما يدري أحد متى يجيء المطر

ورواه ابن حبان بلفظ مقارب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام أحد إلا الله ولا ما في غد إلا الله ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله ولا تدري نفس بأي أرض تموت ولا يعلم متى تقوم الساعة أحد إلا الله)

شرح الحديث

لقد أحاط الله تعالى بكل شيء علما، فأحاط علمه بالغيب والشهادة، والظواهر والبواطن، وقد يطلع الله بعض عباده على بعض من الأمور الغيبية، وهناك أمور استأثر بها وحجب علمها عن جميع المخلوقات، فلا يعلمها نبي مرسل، ولا ملك مقرب، ومن هذه الأمور ما وضحه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث

قوله: مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله

والمراد خزائن الغيب، وقيل: المفتاح في الأصل: كل ما يتوسل به إلى استخراج المغلقات التي يتعذر الوصول إليها

ووجه كون هذه الخمس مفاتيح هو:

- أن قيام الساعة: مفتاح الحياة الآخرة
- ونزول الغيث: مفتاح حياة الأرض بالنبات
- وما في الأرحام: مفتاح الوجود في الحياة
- وعمل الغد: مفتاح عمل المستقبل

- وعلم مكان الموت: مفتاح الانتقال من الدنيا إلى الآخرة؛ فلهذا صارت هذه الخمس مفاتيح

والغيب :ما غاب عن الخلق، وهذا من باب التشبيه، حيث شبهت الأمور المغيبة عن الناس بالمتاع النفيس الذي يدخر ويحفظ بالمخازن والخزائن الموضوع عليها أقفال، بحيث لا يعلم ما فيها إلا الذي بيده مفاتيحها، والغيوب التي لا يعلمها إلا الله كثيرة

ولا يمكن حصر علم الغيب في هذه الخمس؛ ولكن هذه أمهاتها، وذكرت لحاجة الناس إلى معرفة اختصاص الله بعلمها

فعلم الغيب أكثر من هذه الخمس؛ مثل: علمه سبحانه بعدد خلقه، فالله جل في علاه ﴿**يعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين**﴾ [الأنعام: 59]؛ ﴿**لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين**﴾ [سبأ: 3]

ومثل: استئثاره بعلمه بذاته، وأسمائه الحسنى، وصفاته العليا؛ كما قال عز وجل: ﴿**ولا يحيطون به علما**﴾ [طه: 110]

خمس لا يعلمها إلا الله

والمعنى أن الله استأثر بعلمها، فلا يعلمها أحد إلا بعد أن يعلمه الله بها، وفي ذلك يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: **(إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير)** [لقمان:34]هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها؛ فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب: **(لا يجليها لوقتها إلا هو)** [الأعراف: 187] وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه، وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه الله تعالى سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكرا أو أنثى، أو شقيا أو سعيدا علم الملائكة الموكلون بذلك، ومن شاء الله من خلقه، وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غدا في دنياها وأخراها: وما تدري نفس بأي أرض تموت في بلدها أو غيره من أي بلاد الله كان، لا علم لأحد بذلك، وهذه شبيهة بقوله تعالى:

(وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) [الأنعام: 59] وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس: مفاتيح الغيب اه من تفسير ابن كثير.

فأول هذه الخمس أنه: لا يعلم أحد غير الله تعالى ما يكون في غد

أي: ما ينطوي عليه الغد من خير أو شر، ولو كان نبيا إلا بواسطة الوحي المنزل عليه، ولذا قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «**من زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم يخبر بما يكون في غد؛ فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله﴾**» رواه مسلم

فيجب على كل مسلم أن يؤمن بهذا الأصل، ويوقن به، فمن اعتقد، أو ادعى أن غير الله سبحانه يعلم الغيب؛ فقد كفر، وكذب وضل ضلالا مبينا؛ كمن يعتقد ذلك في السحرة، والكهنة، والعرافين، والمنجمين، وكاعتقاد بعض الطوائف في أئمتهم، وغلاة الصوفية في مشايخهم، والاعتقاد في الجن.

وفي الحديث: «**من أتى كاهنا، أو عرافا، فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم**» رواه أحمد

والعراف: هو الذي يخبر عما في الضمير.

والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل.

ولما قالت إحدى الجواري في حضور النبي عليه الصلاة والسلام: وفينا نبي يعلم ما في غد نهاها الرسول عليه الصلاة والسلام وقال صلى الله عليه وسلم: **(لا يعلم ما في غد إلا الله)**

وثانيها: ولا يعلم أحد غير الله سبحانه ما يكون في الأرحام

من ذكر أو أنثى، أسود أو أبيض، كامل أو ناقص، أو نحوها؛ فهو سبحانه المنفرد بعلم ذلك قبل التخلق، أما بعد تخلقه فإنه لم يعد غيبا، وفي إمكان الكشف الطبي الوصول إلى معرفته.

وفي رواية ابن حبان: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله:

الغيض : النقص، والغور، والذهاب، والنضوب، يقال: غاض الماء غيضا : إذا قل ونقص، أو غار فذهب، أو قل ونضب، أو نزل في الأرض وغاب فيها، وعلى هذه المعاني دار تفسير أهل العلم لغيض الأرحام في الآية، فجعلوه على معنيين:
الأول: أنه الدم النازل على المرأة الحامل.
والثاني -وهو لازم للأول-: أنه السقط الناقص للأجنة قبل تمام خلقها.
يتبين بهذا أن السقط هو: الجنين الساقط من بطن أمه قبل اكتمال خلقه، أو هو الجنين الذي يهلك في الرحم؛ فيتحلل ويغور وتختفي آثاره منها، ويصدق عليه أن الرحم تبتلعه كما تبتلع الأرض الماء.
وعلم الأجنة الحديث يجلي هذه الحقيقة: حيث يقرر أهل التخصص بالأجنة، أن الأجنة عندما تهلك في الأسابيع الثمانية الأولى من عمرها؛ إما أن تسقط خارج الرحم، أو تتحلل ثم تختفي من داخله، فيتغير فيه حجم الرحم، ليأخذ في الصغر والجمود، نظرا لامتصاص السائل الأمنيوسي الذي يعيش فيه الجنين.

ولله در الشيخ عبد الرحمن السعدي (ت 1376 هـ)، كيف اهتدى إلى تفسير الغيض في الآية فتراه يقول: "ما تغيض الأرحام: أي تنقص مما فيها، إما أن يهلك الحمل، أو يتضاءل، أو يضمحل"
فقوله «إما أن يهلك الحمل»: هو السقط الذي يلفظه الرحم
وقوله «أو يتضاءل»: هو الإجهاض المخفي، حيث ينكمش حجم الجنين ويتصاغر
وقوله: «أو يضمحل»: هو الأجنة التي تتلاشى في الرحم
فيتبين من هذا التفصيل السالف، أن المقصود بعلم ما تغيض الأرحام: هو العلم السابق بحدوث الإسقاط التلقائي المبكر بصورتيه قبل تمام تخليق الجنين، مع توفر مقدمات الخلق الضرورية ومادته الأولى، وتهيؤ أسباب ذلك وانتفاء الموانع لحدوثه، فيتخلص الرحم من تلك المواد الأولية بإسقاطها، أو بغورها واندثارها.
وعليه، فإن علم غيض الأرحام الذي لا يعلمه إلا الله: هو العلم بمستقبل هلاك الأجنة المبكرة أو حياتها، أو بمعنى آخر: العلم بإرادة الله تعالى في إتمام تخليق إنسان من عدمه، فهذا العلم هو المقصور على الله وحده، ويستحيل على الخلق جميعا معرفته

إذا؛ فالطب المعاصر، ووسائل التقنية الحديثة؛ لا يمكنها العلم بنوع الجنين إلا بعد أن يقضي الله خلقه، ويصير ذكرا أو أنثى بأمر الله، أي: بعد التخليق، وتكوين الجنين، وظهور نوعه، وإذا خلق صار من عالم الشهادة لا من عالم الغيب، أما قبل ذلك؛ فلا يعلمون شيئا.

وثالثها: ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدا

ما المراد بالغد؟ المراد كل المستقبل، فلا تدري ماذا تكسب فيه ولو كان بعيدا، لقوله سبحانه وتعالى: **{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد}** [الحشر: 18] أي ليوم القيامة، فكل مستقبل يصح أن يطلق عليه غد.

والكسب: العمل، سواء كان خيرا أو شرا، فالله سبحانه هو الذي يعلم ما تكسب كل نفس.

ورابعها: وما تدري نفس بأي أرض تموت

لا تدري نفس بأي أرض تموت: هل تموت في بلدها، أو في بلد آخر؟

لا علم لأحد بذلك فلا يدري أي إنسان؛ هل يموت بأرضه، أو بأرض بعيدة عنها، أو قريبة منها، أو يموت في البحر، أو في الجو؟ هل يموت في الليل أو النهار؟ وكم سيعمر؟

قال تعالى: ﴿وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير﴾ [فاطر: 11]

فإن جهالة الزمان أشد من جهالة المكان، ولا يعلم ذلك إلا الله

والله تعالى من رحمته أخفى علينا ميعاد الموت لأمرين:

الأمر الأول/ حتى نبقى على استعداد دائم للقاء الله:

أحد الإخوة اضطر أن يسافر فلم يجد أي طيران فلما تكلم مع الشركة قالوا: وضعناك على قائمة الانتظار؛ قال: يعني أي ميعاد تقريبا؟ اليوم غدا صباحا مساء؟

قالوا له: ضع حقيبتك وراء الباب وانتظر اتصالا منا.

من فينا ليس كهذا المسافر ضع حقيبتك وراء الباب وانتظر اتصالا منا!!

فإذا جاء منادي الله تلبي النداء، فيبقى كل واحد منا على استعداد دائم للقاء الله سبحانه وتعالى.

ويذكر أن أبا جعفر المنصور رأى في المنام ملك الموت فسأله عن أجله فأشار إليه الملك بأصابعه الخمسة، فانتبه مذعورا، وأمر بإحضار المعبرين، فقال بعضهم: تعيش خمسة أشهر، وقال بعضهم: بل خمس سنين، فقلق لذلك فنادى الحرس فقال: على بأبي حنيفة فجاء الإمام – رحمه الله -، فحكى له أبو جعفر ما رأى- يريد تعبيرها ومعرفة أجله!! فقال له أبو حنيفة: غفر الله لك يا أمير المؤمنين يقول لك – أي الملك – موعد موتك أحد خمس لا يعلمها إلا الله.

الأمر الثاني/ أن الله تعالى أراد بنا خيرا أن أخفى علينا ميعاد الموت:

تخيلوا لو أن الواحد فينا مثل عمر بطارية الهاتف تبدأ في أول النهار100 % ثم تبدأ تقل حتى يغادر الحياة 0 % هذه هي أعمارنا سبحان الله تخيل لو أنك تعلم أن باقي في حياتك 20 % 10%..... 3%، تخيل كيف تكون الحياة؟

ستكون الحياة أصعب ما تكون وأشد ما تكون.

أذكر وأنا شاب صغير كان معنا رجل طيب أحيل للمعاش للتقاعد وما شاء الله عليه التحى وأصبح مواظبا على صلاة الجماعة في الصف الأول خمس صوات كأنه كان يجهز نفسه للقاء الله سبحانه وتعالى، هذا الرجل رأى في منامه أنه يقرأ سورة النصر **(إذا جاء نصر الله والفتح)** فقعد في جلسة الإخوة كبار السن في المسجد، وحكى لهم عن الرؤيا قالوا له فلان عنده كتاب تفسير الأحلام، يا فلان هات الكتاب من عندك وكان فيه أن من رأى أنه يقرأ سورة النصر فقد اقترب ميعاد موته!!!

طبعا الاستدلال بقصة ابن عباس مع عمر معروفة لما قال: ما أرى إلا أن الله نعى نبيه لنفسه!!!

وأصيب الرجل بالمرض ولم يستطع مغادرة الفراش وجاؤوا بالطبيب إلى البيت ... الطبيب قال ما في أي شيء ... طيب نذهب به للمستشفى؟ قال والدكم ما فيه ولا شيء... هل أحد زعله؟ لا والله، هل أحد من أقاربكم مات؟ لا والله ...

والرجل كان لا يتكلم ويرفض الطعام أو يأكل قليلا جدا بالكاد وظل هكذا أسبوع طريح الفراش لا يدرون ما به ...

كل ما هنالك ساعة الصلاة يقوم يصلي ويرجع لفراشه لا يتكلم، في آخر يومين نادى على ابنه الكبير وهو من أخبرنا القصة وقال له: أسمع يا محمد أنا حصل كذا وكذا وحكى له الرؤيا وتفسيرها وعاش بعدها يومين وتوفاه الله رحمة الله عليه.

فهذا الرجل لما عرف مجرد معرفة بقرب موعد الموت زهد في كل شيء، ولعله فزع واشتد خوفه وتنغصت عليه حياته.

فمن رحمة الله تعالى أن أخفى علينا ميعاد الموت لنبقى دائما على استعداد ورحمة من الله بنا حتى تطيب لنا الحياة فما أضيق العيش لولا فسحة الأمل.

وخامسها: ولا يدري أحد متى يجيء المطر

وأما ما يخبر عنه خبراء الطقس والأرصاد فإنما هو من باب توقع الحدوث، لا الجزم بالحدوث، وكذلك يكون بالأسباب التي هيأها الله سبحانه وبينها لهم، وأما قبل ذلك فلا يعلم أحد عن ذلك شيئا.

فمعرفة أحوال الطقس، وأوقات الكسوف والخسوف، ونزول الأمطار، وتوقع ذلك، لا يدخل في التنجيم، أو ادعاء الغيب؛ لأنها تبنى على أمور حسية، وتجارب، ونظر في سنن الله الكونية، ثم هي أمور ظنية لا يقينية، فتصيب تارة، وتخطئ تارة، وغالبا تكون تقديرات على المدى القريب، فلا يتوقعون أمطارا تحدث بعد سنوات، أو بعد أشهر.

وفي رواية ابن حبان أن المفتاح الخامس: لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله:

الساعة هي القيامة، وسميت الساعة؛ لأنها أعظم حدث يكون، ولأن فيها وعيدا للمكذبين؛ ولهذا يتوعد بالساعة؛ فيقال مثلا: ساعتك عندي إذا أردت أن تهدد إنسانا تهدده بكلمة الساعة؛ لأنه يقع فيها حدث عظيم

فعلم وقت الساعة مما اختص الله به نفسه، ولم يطلع عليه غيره، قال تعالى: **﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها﴾** [أي: لا يظهرها ويكشفها] **﴿لوقتها إلا هو ثقلت﴾** [أي: ثقل علمها، وخفي أمرها] **﴿في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة﴾** [الأعراف: 187] وقال سبحانه: **﴿يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله﴾ [الأحزاب: 63]**

ولما سأل النبي صلى الله عليه وسلم جبريل، فقال: «فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» رواه مسلم

فمن زعم – في قديم أو حديث: أن الساعة ستقوم يوم كذا، أو سنة كذا، أو أن نهاية العالم اقتربت؛ فهو كاذب، مفتر على الله الكذب، متقول على الله تعالى بغير علم، ولا برهان والساعة لها أشراط، لا تقوم إلا بعد وقوعها، وكثير منها لم يقع.

والواجب على المسلم: أن يعمل ليوم القيامة، ولا ينشغل بموعدها، ولا يمنعه قرب قيام الساعة، أو الخوف من قيامها؛ من التكسب، والسعي على عياله، ومن الإكثار من العمل الصالح؛ ولذا قال تعالى: **﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾** [النازعات: 45]

ولما سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: متى الساعة؟ قال: «وماذا أعددت لها؟» رواه البخاري.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة [أي: نخلة صغيرة]، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها، فليفعل» رواه أحمد.

****

الخاطرة(30)

أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله

عن عطاء، قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة فقالت لعبيد بن عمير: قد آن لك أن تزورنا فقال: أقول يا أمه كما قال الأول: زر غبا تزدد حبا

قال: فقالت: دعونا من رطانتكم هذه قال ابن عمير: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فسكتت ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي قال: يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي

قلت : والله إني لأحب قربك وأحب ما سرك قالت : فقام فتطهر ثم قام يصلي قالت : فلم يزل يبكي حتى بل حجره قالت : ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لحيته قالت : ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض فجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي قال : يا رسول الله لم تبكِ وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبدا شكورا لقد نزلت علي الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها {إن في خلق السماوات والأرض} [آل عمران: 190] الآية كلها [أخرجه ابن حبان وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وجود إسناده العلامة الألباني -رحمه الله-]

شرح الحديث

في هذا الحديث يقول التابعي عطاء بن أبي رباح :دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة لزيارتها وسؤالها، فقالت لعبيد بن عمير :قد آن لك أن تزورنا، وكأنها تعتب عليه عدم زيارته لها.

فقال: أقول يا أمه كما قال الأول: زرغبا تزدد حبا، والغب أصله أن يرد الإبل الماء يوما وتدعه يوما؛ فالمراد: زر أخاك وقتا بعد وقت، تزدد حبا؛ وذلك لأن الإكثار من الزيارة يمل، والإقلال منها مخل.

فقالت: دعونا من رطانتكم هذه تقصد الكلام المسجوع، وكأنها لم تحب هذا المثل، وقصدت أن الزيارة مطلوبة؛ لما فيها من التواد والتحابب؛ أما التقليل من الزيارة

فقيل: إنه مخصوص بمن يزور لطمع، والنهي عن كثرة مخالطة الناس مخصوص بمن يخشى الفتنة أو الضرر.

قال ابن عمير: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا السؤال للتعلم والاقتداء.

فسكتت تفكر في أحوال النبي صلى الله عليه وسلم، فكلها عجيبة وصالحة للاقتداء بها، ولكنها فكرت في أعجب شيء من وجهة نظرها.

ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي التي كان فيها عندي قال: يا عائشة، ذريني اتركيني أتعبد الليلة لربي بالصلاة والقيام، وهذا من آداب الزوجية أن يستأذن كل طرف من الآخر إذا أراد الانشغال بأمر مهم للتعبد أو الذكر أو غير ذلك

قلت: والله إني لأحب قربك حين تكون بجواري وأحب ما سرك وهذا درس يعطيه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نتعلم كيف نعامل أهلنا، حتى ولو كان الأمر الذي يشغلنا عنهم هو العبادة، وهو لا يريد أن ينشغل المؤمن عن رعاية أهله بعد أداء ما عليه من فروض، حتى ولو كان عبادة إلا بعد استئذان الأهل.

لماذا؟ لأن الله طلب من الزوجة في العبادة غير المفروضة ألا تتطوع حتى تستأذن زوجها؛ فالزوجة إن صلت تطوعا، أو صامت تطوعا لابد أن تستأذن زوجها.

قالت: فقام فتطهر توضأ، **ثم قام يصلي** قيام الليل.

فلم يزل يبكي حتى، بل حجره والحجر طرف الثوب.

ثم بكى فلم يزل يبكي حتى، بل لحيته ورطب شعر لحيته بالدموع.

ثم بكى فلم يزل يبكي حتى، بل الأرض حتى نزلت دموعه على الأرض وبللتها بعد أن بللت لحيته وثيابه، وهذا كناية عن كثرة الدموع والخشوع والخوف من الله.

فجاء بلال يؤذنه بالصلاة وهي صلاة الفجر؛ ليسمح له بالإقامة.

فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله، لم تبكِ وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟

فكأن بلالا ظن أن سبب تحمله المشقة في العبادة أنه إنما يعبد الله خوفا من الذنوب، وطلبا للمغفرة والرحمة، فمن تحقق أنه غفر له لا يحتاج إلى ذلك، فأفادهم بأن هناك طريقا آخر للعبادة، وهو الشكر على المغفرة.

فقال: أفلا أكون عبدا شكورا، أي: كيف لا أشكره وقد أنعم علي وخصني بخيري الدارين؟!فمن عظمت عليه نعم الله، وجب عليه أن يتلقاها بعظيم الشكر، وخصوصا أنبياءه وصفوته من خلقه، الذين اختارهم، وخشية العباد لله على قدر علمهم به.

ثم قال: لقد نزلت على الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها {إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب} [آل عمران: 190]، أي: فيها دلالات على قدرة الله عز وجل يدركها أصحاب العقول

ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: المراد بالتفكر هو: إعمال القلب في النظر في الأدلة

قال الأوزاعي: يقرأهن وهو يعقلهن، أي على الأقل يعرف التفسير، أن تقرأها، وأن تعرف تفسيرها.

وقد ثبت أن النبي ﷺ كان يقرأ هذه الآيات العشر من آخر آل عمران إذا قام من الليل في تهجده، من قوله: إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب [آل عمران: 190] إلى آخر السورة [رواه البخاري ومسلم]

ولذلك يستحب للمستيقظ من نومه أن يتلو هذه الآيات اقتداء بالنبي -صلى الله عليه وسلم-

(إن في خلق السماوات والأرض) [آل عمران: 190]

في إيجادهما وإنشائهما من العظيم -سبحانه- على هذا الإبداع وهذا الإحكام، هذه دالة على عظمته، فالسماوات على اتساعها وارتفاعها وما فيها من الشمس والقمر والنجوم والكواكب السيارة والزينة والأرض في انخفاضها وبسطها وتذليلها، وما فيها من البحار والجبال والقفار والنبات والأشجار والثمار والدواب وأنواع المعادن، واختلاف الليل والنهار، وتعاقب الليل والنهار، وتفاوت الليل والنهار؛ من الظلمة إلى النور والطول والقصر، واختلاف الجو حرا وبردا ورخاء وشدة، والزمان وما فيه

عزا وذلا، وهزيمة ونصرا وسعة وضيقا وصحة ومرضا؛ كل هذا فيه مجال العباد للتفكر والتدبر والتبصر لآيات واضحة، وبراهين قاطعة وساطعة على عظمته ـ سبحانه- الذي يتفكر فيها تشهد على عظمة الله، يطلع أن الله هو العظيم، لا إله إلا هو

(لآيات لأولي الألباب) أصحاب العقول الصافية النقية"

شكر الله سبحانه يكون بطرق كثيرة، بالأقوال والأفعال، والعبد الورع التقي يزيد شكره لله كلما ازدادت النعم عليه، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم القدوة في الشكر والعبادة، مع علمه بنعمة الله عليه بغفران ما تقدم من ذنوبه وما تأخر"

من كلام السلف عن التفكر:

عن الحسن قال: تفكر ساعة خير من قيام ليلة"

وعن الفضيل قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك"

وكان سفيان بن عيينة كثيرا ما يتمثل بقول القائل:

إذا المرء كانت له فكرة ـــــ ففي كل شيء له عبرة

وقال بشر لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله عز وجل

فيا عجبا كيف يعصى الإله
أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة
وفي كل تسكينة شاهد
وفي كل شيء له آية
تدل على أنه واحد

ومن جميل ما يحكى في هذا الباب ما قاله ابن الجوزي عن نفسه: عرض لي في طريق الحج خوف من العرب، فسرنا على طريق خيبر، فرأيت من الجبال الهائلة والطرق العجيبة ما أذهلني، وزادت عظمة الخالق – عز وجل – في صدري، فصار يعرض لي عند ذكر الطرق نوع تعظيم لا أجده عند ذكر غيرها، فصحت بالنفس:

ويحك! اعبري إلى البحر، وانظري إليه وإلى عجائبه بعين الفكر، تشاهدي أهوالا هي أعظم من هذه ثم اخرجي إلى الكون والتفتي إليه؛ فإنك ترينه بالإضافة إلى السماوات والأفلاك كذرة في فلاة ثم جولي في الأفلاك، وطوفي حول العرش، وتلمحي ما في الجنان والنيران ثم اخرجي عن الكل، والتفتي إليه؛ فإنك تشاهدين العالم في قبضة القادر الذي لا تقف قدرته عند حد ثم التفتي إليك، فتلمحي بدايتك ونهايتك، وتفكري فيما قبل البداية، وليس إلا العدم، وفيما بعد البلى، وليس إلا التراب

فكيف يأنس بهذا الوجود من نظر بعين فكره المبدأ والمنتهى؟ وكيف يغفل أرباب القلوب عن ذكر هذا الإله العظيم؟ (12)

وقال ابن أبي الدنيا: أنشدني الحسين بن عبد الرحمن:

نزهة المؤمن الفكر لذة المؤمن العبر
نحمد الله وحده نحن كل على خطر
رب لاه وعمره قد تقضى وما شعر
رب عيش قد كان فوق المنى مونق الزهر
في خرير من العيون وظل من الشجر
وسرور من النبات وطيب من الثمر
غيرته وأهله سرعة الدهر بالغير
نحمد الله وحده إن في ذا لمعتبر
إن في ذا لعبرة للبيب إن اعتبر

****

(12) صيد الخاطر: 275، 276

الرقم	عنوان الخاطرة	رقم الصفحة
1	عظمة الله رب العالمين	3
2	شرح اسم الله العظيم	10
3	تفسير آية الكرسي	17
4	تفسير قوله تعالى: (الله نور السماوات والأرض)	28
5	تفسير سورة الإخلاص	43
6	حديث (كان الله ولم يكن شيء غيره)	49
7	عرش الرحمن جل جلاله	56
8	وصف ملك من حملة العرش	64
9	وسع كرسيه السماوات والأرض	70
10	إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها	75
11	اسم الله الأعظم جل جلاله	83
12	حديث: (إن الله لا ينام...)	88
13	حديث يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي	92
14	نظر المؤمنين إلى وجه الله الكريم	101
15	اللهم ربنا لك الحمد حمدا ملء السماوات	105
16	الذكر المضاعف: سبحان الله وبحمده عدد خلقه	110
17	شرح حديث: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي	114
18	أَلَا تُحدِّثونَ بأعجبِ شيءٍ رأيتُم بأرضِ الحبشَةِ؟	123
19	سُبحانَ ذي الجبَروتِ والملَكوتِ والكِبرياءِ والعَظَمةِ	127
20	إِنِّي أرى ما لا تَرَوْنَ، أَطَّتِ السَّماءُ، وحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ	131
21	يد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار	136
22	اللهم ربّ السماوات، وربّ الأرض، وربّ العرش العظيم	140
23	اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن	144
24	إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي	151
25	قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر	159
26	يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة	163
27	شرح دعاء الكرب	168
28	يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم	172
29	مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله	179
30	أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله	187